

آليات الإقناع في الخطابة السياسية

في العصر العباسي الأول

(١٣٣ - ٥٢٤٧هـ)



د. عرفة حلمي عباس (*)

تقديم:

الحمد لله تعالى وحده لا شريك له، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد..

فإن الخطابة السياسية لون من ألوان الخطابة التي عرفها العصر العباسي، وأخذت طريقها إلى الدرس الأدبي لما تحلت به من قوة ألفاظ وفصاحة عبارة وبلاغة صور وتراكيب، وقد حفظت لنا كتب الأدب كثيرًا منها، وفيها حرض الخطباء السياسيون - وعلى الأخص العباسيون فيهم - على إقناع الجماهير واستمالتها بعد سقوط دولة بني أمية، مستعينة في هذا بآليات متنوعة للإقناع؛ وهي آليات تستحق الرصد والتحليل بعد أن بات فن التواصل والإقناع في العصر الحديث علمًا قائمًا بذاته، وحتى تتعمق الدراسة في التقاط صيغ الإقناع من الخطب السياسية، فقد اكتفت بتحليل أخصب فتراتها متمثلة في العصر

(*) مدرس بقسم اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة القاهرة .

العباسي الأول (١٣٢ - ٢٤٧هـ)، وفيها جمعت الخطابة بين الإقناع والإمتاع.

وللإقناع عدة تعريفات منها : «استخدام المتحدث أو الكاتب للألفاظ والإشارات التي يمكن أن تؤثر في تغيير الاتجاهات والميول والسلوكيات».

أو هو «عمليات فكرية وشكلية يحاول فيها أحد الطرفين التأثير على الآخر وإخضاعه لفكرة أو رأي» (١) .

أو هو «تأثير سليم ومقبول على القناعات لتغييرها كلياً أو جزئياً من خلال عرض الحقائق بلادة مقبولة وواضحة».

أو هو «عملية تحويل أو تطويع آراء الآخرين نحو رأي».

ويظهر جلياً من التعريفات السابقة أن الإقناع فرع عن إجادة مهارات الاتصال، والتمكن من فنون الحوار وأدابه، والاستخدام الفعال للكلمات، والقدرة على نقل المبادئ والأفكار بإتقان، ومعرفة أحوال المخاطبين وقيمهم ومنازلهم، والتفاعل الإيجابي الصادق مع الطرف الآخر، وهو فن مخاطبة العقول والقلوب، ولا يجيده إلا من يمتلك أدواته.

ويمكن تصنيف آليات الإقناع في الفترة محل البحث (١٣٢-٢٤٧هـ) إلى وسائل وصيغ؛ أما الوسائل فتعتمد على الاقتباس والتضمين والتصوير، وأما الصيغ فتركز على التأكيد والتكرار والاستفهام، وهذا ما سنوضحه في هذا البحث، بإذن الله تعالى.

أولاً: وسائل الإقناع:

١- الاقتباس والتضمين:

الاقتباس والتضمين هو: أن يأخذ الخطيب من كلام غيره فيدرجه في خطابه، كأن يُزيّنه بآيات من القرآن الكريم، أو أحاديث النبي ﷺ، أو أقوال الأنمة، أو الحكم والأمثال، أو أشعار العرب، إلخ، واختص الأخذ من القرآن الكريم والحديث الشريف بمصطلح الاقتباس، وما عداها بمصطلح التضمين (٢)، وهذا الأخذ يُضفي على كلام الخطيب جمالا ومثانة وتصديقا، وزيادة في إقناع جمهور مستمعيه، وهو من قبيل الحُجج الجاهزة التي تكتسب قوتها من قوة مصدرها، ومن مدى مصادقة الناس عليها، وحسب الخطيب تدخلا فيها، أن يجيد اختيارها وتوجيهها إلى الغرض المرصودة للاستدلال عليه.

ولدى تتبعنا لهذه الوسيلة في مجموعة الخطب السياسية التي وصلتنا من العصر العباسي الأول، لاحظنا أنها تركزت في القرآن الكريم، والحكم والأمثال، وعدد من الآيات الشعرية، نبيّنها فيما يلي:

١. ١- الاقتباس من القرآن الكريم:

كان الاقتباس من القرآن الكريم مما جرت عليه العادة في كثير من الخطب العربية، إذ هو من الأمور المستحسنة لدى العرب في خطبهم، وفي هذا يقول الجاحظ: «وكانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل، وفي الكلام يوم الجمع، أي من القرآن؛ فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقّة

وحسنَ الموقع. قال الهيثم: قال عمران بن حطان: إن أول خطبة خطبتها عند زياد - أو قال: عند ابن زياد - فأعجب بها زياد وشهدها عمي وأبي، ثم إنني مررت ببعض المجالس فسمعت رجلاً يقول لبعضهم: هذا الفتى أخطب العرب، لو كان في خطبته شيء من القرآن» (٣) .

وقد أكثرَ الخطباءُ السياسيون في العصر العباسي الأول من الاقتباس القرآني، كطاقة إقناعية كبيرة مستمدة من أصل كل بيان، ونبع كل بلاغة، ومعين كل فصيح.

وقد ظهرت مهارةُ الخطباء السياسيين في هذا العصر في وضع ما اقتبسوه من الآيات في مواضعها الملائمة، وسياقاتها المناسبة، فانتظم الكل في رصف إبداعي، لا يكاد يميز غير الحافظين لكتاب الله بين المقتبس وسواه من كلام الخطيب.

وقد أخذ الاقتباس من القرآن الكريم في خطب السياسيين في هذا العصر صورتين، هما: الاقتباس المباشر، والاقتباس غير المباشر، وفي كل أبرز الخطباء مهارة في دقة الاختيار وحسن التوظيف.

١. ١. ١ - الاقتباس المباشر:

وهو أن يقتبس الخطيب السياسي الآية من القرآن الكريم بنصّها، يقوِّي بها رأيه، ويعضد بها حُجَّتَه؛ بقصد الإقناع والتأثير في جمهور مستمعيه، من تلك اقتباسُ أبي العباس السفاح لعدد من الآيات القرآنية في خطبته وقد بويع

بالخليفة(٤)، كقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (٥) ، وقوله جل ذكره: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوْتَةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ (٦) ، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْقُرَيْبِينَ ﴾ (٧) وقوله سبحانه: ﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى ﴾ (٨) وكذلك قوله عز وجل: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى ﴾ (٩) .

إن المتأمل لمجموعة تلك الآيات الكريمة التي اقتبسها الخليفة أبو العباس السفاح في معناها العلم ليجد أنها تدور حول موضوعين أساسيين: أولهما، التأكيد على حق العباسيين في الخلافة وذلك بسبب قربانهم من الرسول الكريم ﷺ، فكفوا أحق الناس بها وأهلها، وثانيهما: التأكيد على أحقية بني العباس بميراث النبي ﷺ، إذ هم الورثة الحقيقيون له. ولنا أن نتأمل في حال ثلة من المستمعين وهم يسمعون إلى هذا الحميد من الآيات القرآنية التي استطاع الخطيب ببراعة واقتدار أن يجعلها منصبة في أحقية العباسيين للخلافة وإرث النبي ﷺ، مما سيكون من شأنه أن يدفع بهم للاقتناع بما قاله.

ووجدنا السفاح كذلك في خطبة أخرى له يقتبس قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَوْ تَوَخَّوْا بِالْعُقُودِ ﴾ (١٠) ، وذلك عندما أراد أن يبين للناس منهجه في الخلافة، إذ عقب بعد اقتباسه للآية الكريمة السابقة بقوله: «والله لا أعصم شيئاً إلا وفيت بالوعد والوعيد، ...» (١١) ، ولنا أن نلاحظ التوظيف المناسب للآية، مما يجعلها ذات وقع فيه الإقناع والتأثير في النفوس المتلقية لذلك الخطاب.

يُطعم السفاح كذلك خطبته التي خطب بها أهل الشام حين قُتل مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين بالآيات القرآنية، التي تدل دلالة واضحة لمتلقيها على ملاءمتها ومناسبتها لموضوع خطبته، ألا وهو الهجوم العنيف على بني أمية، وبيان فسادهم وإفسادهم في العالمين - على ما صور لنا في خطبته - إذ نجده يقتبس الآيات الكريمة التالية:

١- قوله تعالى: ﴿ اَلَمْ نَرِ إِلَى الَّذِيْنَ بَنَلُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ كُفْرًا وَّآلَحُوا قَوْمَهُمْ دَارَ

النَّوَارِ {٢٨} جَهَنَّمَ يَصَلُّوْنَهَا وَيَنَسُّ الْقَرَارَ {٢٩} ﴾ (١٢) .

٢- قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ اَضَلُّوْنَا فَتَقِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ﴾ (١٣) .

٣- قوله تعالى: ﴿ فَنَلِكْ بَيُوتَهُمْ خَالِوَةً بِمَا ظَلَمُوْا ﴾ (١٤) .

حتى ليُخيل للمرء بعد تلك الاقتباسات القرآنية التي جاءت في الخطبة، أن المقصود بتلك الآيات هم فعلاً بنو أمية، مما يزيد من إقناع المستمعين بجُرم الأمويين، وفساد سيرتهم في العالمين. وبطبيعة الحال ما كان لمثل هذا التسليم، وهذا التأثير والإقناع أن يحصل لولا براعة هذا الخطيب المفوه الذي كان حاضر البديهة عند سَوق مثل تلك الاقتباسات المؤنّدة، مقدراً فعل الآية القرآنية في تحريكها النفوس والقلوب.

ولنا هنا وقفة مع ما لوحظ على السفاح من كثرة اقتباسه لآيات القرآن الكريم، لعنا نرجعها إلى أمر اقتضته طبائع الأمور، ومقتضيات المواقف، ألا وهو أن أبا العباس السفاح هو أول خليفة عباسي يُبايع له بالخلافة في دولة بني

العباس، وإننا لنعلم إدراك جُلّ الخلفاء المسلمين من بعد خلفاء الرسول ﷺ سواء أكانوا العباسيين، أم حتى الأمويين قبلهم، نعلم إدراكهم أهمية اصطباغ خلافتهم بالصبغة الدينية فكيف لهم ذلك إلا بأقرب طريق، وأنجع أسلوب، أسلوب الآيات القرآنية، والاقتباسات الدينية، مما يُشعر المتلقي بشعور الاطمئنان والرضا، بل والاقتناع بكل ما يتفوه به الخليفة أو يفعله، وفي تقديرنا هذا مما يمكن أن يكون أحد الدوافع وراء كثرة ما لاحظنا من اقتباسات للآيات القرآنية من قبل الخليفة أبي العباس السفاح، كثرة اقتضتها سنة متبعة، وحُكّة سديدة.

وكان من أكثر الآيات التي اقتبسها بنو العباس وأنصارهم، هي قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (١٥)* وكما اقتبس خلفاء بني العباس من القرآن الكريم ما يدعم سلطتهم - على حد زعمهم - فقد اقتبس خصومهم ما يفند حججهم ويدعم موقفهم المناوئ لسلطة العباسيين؛ فهذا محمد بن عبد الله (النفس الزكية) - المعارض الخطير لبني العباس - يقتبس في خطبته (١٦)، حين خرج على الخليفة المنصور قوله تعالى على لسان فرعون الطاغية: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (١٧)، موضحاً لأنصاره في تلك الخطبة ما كان من أمر أبي جعفر عند بنائه القبة الخضراء بقصره ببغداد، التي ما بناها إلا معاندة لله في ملكه، وكذلك تصغيراً منه للكعبة الحرام - على حد زعمه - ليستوي في هذا الصنيع مع فرعون اللعين الذي ادعى الربوبية المطلقة.

ويقتبس عبد الله بن طاهر - أحد أنصار العباسيين، وأحد القادة المشهورين

لدى الخليفة المأمون - في خطبته (١٨)، وقد تيسر لقتال حمزة بن أكر ك الخارجي (١٩)، يقتبس فيها قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢٠) ، وما أروعه من اقتباس اقتضاه الموقف، وما أبرعه من استعمال ألقنه القائد الخطيب، إذ الثبات في ساحة القتال، والصبر عند ملاقات الأعداء، وذكر الله تعالى، هي خير معين للجندي المسلم في مثل هذه المواقف العصيبة.

إن الأمثلة على هذا النوع من الاقتباس كثيرة ومتعددة في خطب السياسيين في العصر العباسي الأول، تزر بها خطبهم، وحسبنا ما قدمنا من الأمثلة على ذلك.

٢. ١. ١ - الاقتباس غير المباشر:

الاقتباس غير المباشر هو: أن يستمد الخطيب السياسي معاني القرآن الكريم وشيئا من ألفاظه، يجريها على لسانه وينتظمها قوله، فتتجذب إليها نفوس مستمعيه زيادة منه في التأثير والإقناع. وقد أكثر الخطباء السياسيون من استخدامه في خطبهم السياسية في العصر العباسي الأول.

يستخدم أبو جعفر المنصور في إحدى خطبه بمكة بعد بناء بغداد هذه الوسيلة في إقناع مستمعيه والتأثير فيهم، إذ يقول: «...، والحمد لله الذي أفلح حُجته، وبعث للقوم الظالمين، الذين اتخذوا الكعبة عَرَضًا، والفياء إرثًا، وجعلوا القرآن عِضِينَ، لقد حلق بهم ما كانوا به يستهزنون، فكم ترى من بئر مَعْطَلَة وقصر مَشِيد، أمهلهم الله حتى بنكوا السُّنَّة، واضطهدوا العِترَة، وعَدُوا واعتدوا

واستكبروا، وخابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، ثُمَّ أَخَذَهُمْ فَهَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا» (٢١).

تُعَدُّ هذه الخطبة من الخطب التي تمثل توظيف الاقتباس غير المباشر بصورة واضحة؛ لذلك أثرت إدراجها كاملة لتقف على تلك الاقتباسات ونحليها إلى آياتها الأصلية من كتاب الله الكريم، فلقبسه الأول غير المباشر كان في قوله: «وَيُعَذِّبُ لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»، وهو مأخوذ من قوله جل ثناؤه: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٢)، أو قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّنِيعَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عِثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٣)، وأما اقتباسه الثاني غير المباشر في قوله: «وجعلوا القرآن عِضِينَ»، فهو مأخوذ من قوله جل وعلا: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ (٢٤)، واقتباسه غير المباشر الثالث في قوله: «لقد حاق بهم ما كتوا به يستهزئون»، فهو من قوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٢٥)، وجاء اقتباسه الرابع غير المباشر في قوله: «فكم ترى من بنر مُعْطَلَةٍ وقصر مَشِيدٍ»، من قوله تعالى في سورة الحج: ﴿فَكَأَيُّ مَن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرُ مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَّشِيدٌ﴾ (٢٦)، أما اقتباسه الخامس غير المباشر فكان في قوله: «وخابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ»، وهو من قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (٢٧)، وجاء اقتباسه السادس غير المباشر في قوله: «ثم أخذهم فهل تحس منهم من أحدٍ أو تسمع لهم ركزًا»، فهو مأخوذ من قوله سبحانه: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ

مَنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا» (٢٨) .

وحسب المتلقي أن ينصت إلى مثل هذه العبارات المستوحاة من عبارات أي الذكر الحكيم، فينجذب إليها في خشوع وانتباه، وكل ذلك سبيل إلى الإقناع من لدن الخطيب، والاقتراع بكلامه من لدن المستمعين.

وظهرت هذه الوسيلة كذلك لدى الخليفة أبي العباس السفاح في كثير من خطبه، فنجد في أول خطبة له وقد بويع بالخلافة يقول: «وَالزَّمْنَا كَلِمَةَ التَّقْوَى، وَجَعَلْنَا أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلَهَا،...» (٢٩) ، وهي اقتباس غير مباشر مأخوذ من قوله تعالى: «إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَفَلُوا أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» (٣٠) .

وقوله في الخطبة ذاتها: «وخصنا برحم رسول الله ﷺ وقرابته، وأنشأنا من آباءه، وأنبتنا من شجرته، واشتقنا من نُبُعِهِ، جعله من أنفسنا عزيزاً عليه ما عنتنا، حريصاً علينا، بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً،...» (٣١) ، واقتباسه غير المباشر هنا جاء في قوله «جعل من أنفسنا عزيزاً عليه ما عنتنا، حريصاً علينا، بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً»، وهو مأخوذ من قوله سبحانه: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ» (٣٢) .

ويُغَيِّظ داود بن علي القول في إحدى خطبه مُهاجِماً بني أمية، في خطبة طويلة ضمّنها كثيراً من معاني وألفاظ القرآن الكريم عن طريق وسيلة الاقتباس غير المباشر، فمن ذلك قوله: «فلتأهم بأس الله بيئاً وهم نائمون، فاصبحوا

أحاديث، ومُرَقُوا كل ممزق، فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» (٣٣)، ثلاثة اقتباسات متوالية غير مباشرة، الأول منها قوله: «فَاتَاهُمْ بَأْسُ اللَّهِ بِيَأْتَا وَهُمْ نَامُونَ»، وهو من قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (٣٤). أما الاقتباس الثاني فهو قوله: «فَاصْبِحُوا أَحَادِيثَ، وَمُرَقُوا كل ممزق»، وهو مأخوذ من قوله سبحانه: ﴿قَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٣٥). أما ثالث اقتباساته غير المباشرة فهو قوله: «فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»، وهو مأخوذ من قول الحق تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءَ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٣٦)، أو قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّنِيعَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غَنَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٣٧).

وله كذلك اقتباس غير مباشر جدير بنا أن نقف عنده، إذ وجدناه في خطبته وقد بلغه أن قوماً أظهروا شكاة بني العباس يقول: «ألم تجدوا ما وعد ربكم حقاً من إیراث المستضعفين مشارقي الأرض ومغاربها؟...» (٣٨)، ويمكن لنا القول: إن هذا الاقتباس غير المباشر هو عبارة عن اقتباسين في اقتباس واحد، إذ جزء عبارته الأول، وهو قوله: «ألم تجدوا ما وعد ربكم حقاً»، مأخوذ من قوله تعالى على لسان أصحاب الجنة بعد أن نالتوا أصحاب النار على ما جاء في سورة الأعراف: ﴿وَلَدَىٰ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَإِنَّ مُؤَدَّنَ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (٣٩)، أما جزء العبارة الثاني، وهو قوله: «من إیراث

المستضعفين مشارق الأرض ومغاربها»، فمقتبس من قوله تعالى: «وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَتَمَرَّتْ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ» (٤٠)، وهنا تظهر براعة الخطيب في هذا الدمج بين هذين الاقتباسين، ليظهرها في عبارة كاملة الانسجام، محبوكة السبك، تشد انتباه المستمعين وتعمل على التأثير فيهم بمحتواها وإقناعهم بمضمونها.

وكثيرة هي الخطب السياسية التي نهل فيها خطباء العصر العباسي الأول من معين القرآن الكريم باقتباسات مباشرة أو غير مباشرة، أحسنوا انتقاءها، وأجادوا توظيفها، فأضفت على كلامهم جودة عبارة وحسن سبك، كما أكسبت كلامهم قوة حجة ونصاعة برهان.

٢. ١ - اقتباس الحكم والأمثال:

المتتبع لخطب كثير من الخطباء السياسيين في العصر العباسي الأول يجدها حُطْبًا حافلة بالحكم والأمثال، وهذا في تقديرنا أمر طبعي؛ لما للحكم والأمثال من وقع في النفوس وتأثير في العقول، باعتبارهما خلاصة للتجارب الإنسانية، واختصارًا لكثير من المعاني الجليلة.

وقد نبّه ابن وهب الكاتب (ت بعد ٣٣٥هـ) على أهمية المثل وفائدته في تقريب الصور والمعاني، فقال: «وأما الأمثال، فإن الحكماء والعلماء والأنبياء لم يزالوا يضربون ويبيّنون للناس تصرف الأحوال بالنظائر والأشكال، ويرون هذا النوع من القول أنجع مطلبًا، وأقرب مذهبًا، ولذلك قال الله عز وجل: «وَلَقَدْ

ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَكِنْ جِئْتُهُمْ بِآيَةٍ لِيَقُولُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُنْظِلُونَ» (٤١) . وقال : «وَسَكُنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ» (٤٢) (٤٣)

فالحكمة والمثل يختصران العملية الاستقرائية لتصل بالسامعين إلى المقايسة بين حالتين متشابهتين يُراد استنتاج إحداها بالنظر إلى نهاية الأخرى.

داود بن علي من الخطباء السياسيين في العصر العباسي الأول الذين أكثروا من اقتباس الحكم والأمثال والاستشهاد بهما، فنجد مثلاً يقول في خطبته مرة عندما ارتج على ابن أخيه السفاح، وبعد أن مدح فيه عدم تقدم قوله فعله: «إن أمير المؤمنين يكره أن يتقدم قوله فعله، ولاثرُ الفعل أجدى عليكم من تشقيق المقال...» (٤٤) ، والحكمة التي جاء بها هي في قوله: «ولاثرُ الفعل ... أجدى من تشقيق المقال»، ومعناها: أن أثر الفعل ووقعه على النفوس أنجع من كثرة الكلام وإخراجه أحسن مخرج، من دون ترجمة عملية له، وكأنه يقصد بذلك أن الخليفة السفاح قليل الكلام، كثير الفعل.

ولداود بن علي كذلك اقتباس غير مباشر لأحد الأمثال العربية مأخوذ من معنى البيت الشعري القائل:

يا باري القوس بَرِّيًا لَسْتُ تُحْسِنُهُ لَا تُفْسِدُهَا وَأَعْطِ الْقَوْمَ بَارِيهَا (٤٥)

وذلك عندما قال في إحدى خطبه بمكة: «فالآن حيث أخذ القوس باريها، وعادت النبلُ إلى النزعة» (٤٦)، ورجع الملكُ في نصابه، ...» (٤٧) ، واقتباسه هنا

غير المباشر للمثل فهو في قوله: «فالآن حيث أخذ القوسَ باريها» إشارة إلى عودة الحق إلى نصابه، وذلك بعودة الخلافة إلى بني العباس، إذ هم أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ، على حد ما يعتقد ويزعم.

وفي الخطبة التي ألقاها بعد أن أرتج عليه هو فيها، وجدناه يقول: «أما بعد، فقد نجدُ المُصير، ويُصير المُوسر، ويُقلُّ الحديد، ويُقطع الكليل، وإنما الكلام بعد الإفحلم، كالإشراق بعد الإظلام، ...، وإنما اللسانُ مضغة من الإنسان، يفتَرُ بفثوره إذا ثقل، ويثوبُ بتبساطه إذا ارتجُل، ...» (٤٨)، وهي محتوية على عدد من الحكم المتتابعة، الموجزة ذات المعنى البليغ الواقعي، التي تصب في معنى حسن تخلصه من مازقه، فقد أحال عسر الكلام عليه من قضية خاصة إلى حالة عامة، مستعيناً في ذلك بحشد من الحكم، أحسبها أقتعت متلقيه بأن ما اعتراه كان عارضاً، وأن ما أبداه من براعة تخلص ينبي عن خطيب بليغ فصيح قوي الحجة ناصع البرهان.

ويستخدم أيضاً أحد الأمثال العربية المشهورة في إحدى خطبه، وقد بلغه أن قومًا أظهروا شكاة بني العباس إذ قال: «الآن يا منابتَ الدُمن، مشيئتم الضراء، ونبيئتم الخمر» (٤٩)، والمثل المقتبس بنصه هنا هو قوله: «مشيئتم الضراء (٥٠)، ونبيئتم الخمر (٥١)»، وهو مثل تضربه العرب للرجل الذي يخادع صاحبه ويمكر به (٥٢). وقصّد داود بن علي من قوله هذا هو أن يصف أهل المدينة بأنهم أهل خداع وغدر ومكر، يسبسون في التواء واعوجاج، بسبب سيرتهم المضطربة مع خلفائهم وولاتهم.

ويأتي الخليفة أبو جعفر المنصور بالحكمة في خطبته وقد قتل أبا مسلم الخراساني، إذ قال: «فبقه لم يسِرْ أحد قط منكرة، إلا ظهرت في أثر يده، وفُتلت لسانه، وصفحت وجهه،...» (٥٣)، وهي حكمة استدعاها الموقف مما هو معروف في مناسبة خطبة المنصور الشهيرة هذه، ومضمون هذه الحكمة البليغة يعرفه كل مجرب خبير، مما زاد في إقناع سامعيه بعظيم جرم أبي مسلم الخراساني في حق المنصور، وفي حق الدولة العباسية كلها، وتسليمهم له بعقوبة القتل التي اتخذها ضده.

وللخليفة المأمون حكمة اقتضاها الموقف، وذلك عندما ردّ على وفد أخيه الأمين الذي دعاه إلى القدوم عليه؛ ليكون بقربه وتحت حكمه، وبعد أن أرسل إليه وفداً من كبار رجال الدولة لديه، حيث قال المأمون طالباً منهم التريث، وعدم استعجال الأمور: «وفي الروية تبيان الرأي، وفي إعمال الرأي نصيح الاعتزام» (٥٤).

وفي تقديرنا إنما قصد بهذا الكلام الحكمة الشهيرة المتداولة: (في الثاني السلامة، وفي العجلة الندامة)، والمثل القائل: «ما هلك امرؤ عن مشورة» (٥٥)؛ فالتأني والروية أمران مطلوبان، وبخاصة في عظام الأمور؛ لتقوم الحكمة والمثل هنا بدور مؤثر وموقف فاعل، يهدف إلى فسخ المزيد من المجال للتفكير، واتخاذ الرأي المناسب.

ويستعمل ابن طباطبا الطوي (ت ١٩٩ هـ) للحكمة استعمالاً متكرراً في خطبته حين انتهب قائد جيوشه أبو السرايا الشري قصر العباس بن موسى،

فهاجمه هجوماً عنيفاً وقرّعه تقرّيعاً شديداً على فعلته، فكان مما قال: «فَارَ نُو
الحق بما نوى، حقُّ كل ذي حق في يده، وكلُّ مُدْعٍ على حُجَّتِهِ، ويلٌ لمن
اغْتَصَبَ حقاً، وادّعى باطلاً، أفلَحَ من رضى بحكم الله، وخلف من أرغم الحقُّ
أنفه، العدلُ أولى بالأثرة وإن رَغِمَ الجاهلون، ... ومن سلك سبيلَ العدل أن
يصير على مرارة الحق، كل نفس تسمو إلى همتها، ونِعَمَ الصاحب القناعة،
... حسبُ كل امرئ ما يصنعه، وسيُكفى الظالمون» (٥٦).

وهي جُكم إنما جاء بها لتدعيم رأيه، وتقوية موقفه من أولئك الجند الذين
راحوا ينتهبون ويغتصبون حقاً من حقوق بني العباس من غير وجه حق، يدفعهم
إلى ذلك فتاوى باطلة، وطمع في نفوسهم، وأحكام بلا علم، وعزم بلا روية.
والحكمة البليغة إذا أحسن القتل اختيلها وتوجيهها، ومالت إليها النفوس،
واقترنت بها الضمائر، إذ من التجارب الثابتة حسبُ كل امرئ ما يصنعه، وحتماً
سيُكفى الظالمون.

وهكذا رأينا كيف أكثرَ عدد غير قليل من الخطباء السياسيين في العصر
العباسي الأول من توظيف الحكم والأمثال في خطبهم، يدعّمون بهما آراءهم
ومواقفهم للوصول بمتلقيهم إلى درجات عالية من التأثير فيهم وإقناعهم بأرائهم
ومواقفهم.

٢. ١ - القُبس الأبيات الشعرية:

لقد تبس عدد من الخطباء السياسيين في العصر العباسي الأول في خطبهم
عدداً من الأبيات الشعرية، مستعينين بها في المزيد من الإقناع والتأثير في

جمهور مستمعهم؛ لما للشعر من مكانة وقدر ووقع في النفوس.

فنجد داود بن علي يختم إحدى خطبه التهديدية التوعدية في المدينة (٥٧) بالبيتين التاليين:

حتى يُبِيدَ قَبِيلَةَ فَقِيرِالَةٍ وَيَعْصُ كُلُّ مُثْقَفٍ بِالْهَامِ

وَيَقْمَنَ رَبَّاتِ الْخُذُورِ حَوَاسِرًا يَمْسَحْنَ عُرْضَ نَوَائِبِ الْإِيْتَامِ (٥٨)

وهما بيتان مناسبان من وجهة نظرنا لمضمون تلك الخطبة القائم على التهديد والتوعد لكل من تسول له نفسه غش أئمنه، أو الخروج على خلافة بني العباس.

ويتكرر من الخليفة أبي جعفر المنصور اقتباسه واستشهاده بالبيت الشعري التالي في خطبتين من خطبه:

جَهْلًا عَلَيْنَا وَجِبًّا عَنْ عَدُوِّهِمُو لَبِئْسَتِ الْخُلُتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ (٥٩)

كانت المرة الأولى في خطبته (٦٠) وقد أخذ عبد الله بن حسن وأهل بيته، وبعد أن قام بعرض تاريخي للخلافة الإسلامية - في خطبته تلك - منذ أن قام بها علي ابن أبي طالب عليه السلام، ومن بعده أبناؤه الحسن والحسين وزيد بن علي، إلى أن وثب بنو أمية وشئثوا شمل العلويين، حتى قبيض الله أهل خراسان شيعة وأنصارًا لإحياء شرف العباسيين، وإعزاز مكانتهم، فكان أن ظهر الحق للعباسيين، وصار إليهم ميراث النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، ليستقر الحق مكانه؛ فلما استقر مكانه، وظهر مناره، وثب الأمويون على هذا الحق ظلمًا وحسدًا وبغيًا وعدوانًا وجهلاً وجبًا.

فكر وإبداع

آليات الإقناع في الخطبة السياسية في العصر العباسي الأول

أما المرة الثانية التي استخدم فيها المنصور البيت السابق نفسه، فكانت عند خروج محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن، إلا أنه في هذه المرة سبقه ببيت قبله، فقال:

مالي أكفك عن سخرٍ وثثمتي؟ ولو ثثمتُ بني سخرٍ لقد سكتوا
جهلاً علينا وجبناً عن عدوهمو لبستِ الخلتان الجهلُ والجبنُ (٦١)

وهي براءة من المنصور في اختيار ما يُسعف به موقفه، ويدعم به رأيه، مما يزيد من التأثير والإقناع في جمهور مستمعيه، كيف لا وأبو جعفر المنصور يُعدّ المؤسس الحقيقي لدولة بني العباس، فكان خليقاً به أن يتخير الألفاظ القوية، والعبارات الدالة، والاقبياسات المؤدية.

ويقبس صالح بن علي في إحدى خطبه الناضجة بمعاني القوة والشدة أبياتاً من الشعر، يقول فيها:

أغرّكم أني بلغرم شيممة رفيقٌ وأنّي بالفواحش أخرقُ
ومثلي إذا لم يجز أحسن سعيه تكلمُ نغماءُ بفيها فتتطرقُ
لعمري لقد فاحشنتني فغلبتني هنيئاً مريئاً أنت بالفحش أرفقُ (٦٢)

فكانت تلك الأبيات كاشفة عن صفات شخصيته؛ فهو قوي صنديد، لكنه يجهل الفحش في القول ولا يحسن صنعه، مؤكداً بذلك نبل فروسيته ونفاسته شجاعته.

ومن خلال تلك الاقتباسات القرآنية والحكمية والشعرية هيأ الخطباء السياسيون مادة خطبهم بما يثري دالاتها، ويدعم منطقها، ويقوي حجج أصحابها؛ دعمًا لمواقف آمنوا بها وآراء دافعوا عنها، واتخذوا من تلك الاقتباسات سبيلًا داعمًا لها.

٢- التصوير:

كان من ضمن الوسائل التي استخدمها الخطباء السياسيون في خطبهم السياسية في العصر العباسي الأول التصوير، وهو التعبير بالصورة المحسنة عن المعنى الذهني، الذي يرتقي بهذه الصورة المرسومة فيمنحها الحياة الشاخصة، والحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني حياة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرتبة (٦٣)؛ فتقرب من الأذهان، فتساعد على التوضيح، وتبعث على التصديق.

وقد أجاز النقاد للخطباء الاعتماد عليه كوسيلة تأثير في المستمعين بإبراز الأفكار وتوضيحها وتجسيمها (٦٤)، وإن كانوا يرون أن التصوير والتخييل من خصائص الشعر، إلا أنهم أجازوا للخطباء الاعتماد عليهما في خطبهم إذا أراحوا تقبيح حسن أو تحسين قبيح، أو «أن يقصدوا المبالغة في تحسين حسن أو تقبيح قبيح؛ فيتجاوزون حدود أوصافه الحقيقية، ويحاكونه بما هو أعظم منه حالاً، أو أحقر؛ ليزيدوا النفوس استمالة إليه، أو تنفيراً عنه» (٦٥).

ولدى استقراءنا لعدد من الخطب السياسية التي قيلت في العصر العباسي الأول، لاحظنا لجوء عدد من خطبائها إلى هذه الوسيلة، إيماناً منهم بأهمية

التصوير من الناحية الإقناعية، وتأثيرها شبه المباشر في جماعة المتلقين؛ إذ الصورة تقوم مقام الحجة وتعوضها تبعاً لحال المخاطب المتلقي.

من ذلك ما جاء في إحدى خطب داود بن علي عندما راح يصور للناس كيف أن حق الخلافة رجع إلى العباسيين، وكيف صار إليهم كذلك ميراث النبي ﷺ، بإبداع الصورة التالية: «الآن أفضت حنايس الدنيا، وانكشف غطاؤها، وأشرقت أرضها، وطلعت الشمس من مطلعها، وبزغ القمر من مبرزه، وأخذ القوس باريها، وعاد السهم إلى مئزره، ...» (٦٦).

ولنا أن نتخيل تلك الصورة التي رسمها داود بن علي في هذه الخطبة، من استواء أمر الحياة وانتظام مكوناتها في صور متلاحقة أحسن انتقاءها؛ من انقشاع ظلمة الدنيا، وانكشاف غطائها، ثم كيف أشرقت الأرض والسماء معاً، ولنا وللمستمعين لتلك الخطبة أن نتخيل صورة الشمس وهي بازغة من مطلعها بنورها المشرق وقرصها المضيء، وكيف بالقمر - في مشهد آخر - يبرز من مكان منزله في أبهى حلة، ومشهد صاحب القوس الذي أخذها بحقها، وكيف بذلك الرامي يشد إليه وتر قوسه ليضع فيه السهم؛ كلها صور جزئية تفصيلية متلاحقة تجتمع في الإطار الكبير الذي يستقبله متلقي تلك الصورة؛ رغبة من الخطيب في الخلوص إلى صورة المشهد النهائي؛ ألا وهو حق العباسيين في الخلافة، وميراث النبي الأكرم ﷺ.

وخطبته التي خطب بها الناس بالمدينة تفيض تصويراً على قصر عباراتها، إذ يقول فيها: «أيها الناس، حثام يهتف بكم صريخكم، أما أن لراقدكم أن يهب

من نومه ...، أغركم الإمهال حتى حسبتموه الإمهال؟ هيهات منكم، وكيف بكم، والسوط كفي، والسيف مشهر؟» (٦٧).

وهي صورة تهديدية قوية، فيها الصراخ والدوي، بلغت من الروع منتهاه، ومن الإرهاب أقصاه، إذ منظر السيف المشهر وقد سلّ من غمده وصوّب نحو الرقاب، وتلك السياط المبسوطة بكل ما فيها من طول وانحناء، كلها صور تخلع على المستمع كثيرًا من الخوف والهلع بشكل واضح لا لبس فيه.

ويتوجّه الخليفة السفاح في خطبته بالشام حين قُتل مروان بن محمد بخطبه لأهل الشام مُعاتبًا إياهم مصورًا حال آل حرب وآل مروان معهم، فيقول: «نقص بكم يا أهل الشام آل حرب وآل مروان، يتسكعون بكم الظلم، ويتهودون بكم مداحض (٦٨) الزلق، يطؤون بكم حرم الله، وحرم رسوله، ...» (٦٩).

والتصوير هنا في مشية ذلك المتعسف الظالم، وذلك التهور المُفضي إلى الزلق والمثلة، ثم يأتي بمشهد تصويري آخر يُعيد فيه ذاكرة القوم إلى مقاتلة الحجاج عبد الله بن الزبير بمكة، ورميه الكعبة بالمنجنيق على عهد عبد الملك ابن مروان، وكذلك يشير إلى وقعة الحرّة، وما أحدثه جيش مسلم بن عقبة المري بالمدينة على عهد يزيد بن معاوية (٧٠)، كل ذلك بتصوير يُحرك العقول والقلوب، ويثير عندها الغيرة على حرم الله وحرم رسوله ﷺ.

وعيسى بن علي - عم السفاح - يُبدع صورًا حيّة أيضًا في خطبته حين قُتل مروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية، فيقول: «أما والله لقد كرهتهم العيدان التي افترعوها، وأمسكت السماء نرها، والأرض ريعها، وقحلت

الضرع، وجفّزَ القتيق، وأسملَ جليباب الدين، وأبطلت الحدود، وأهبرتَ الدماء، وكان ربك بالمرصاد، ...» (٧١) .

والصورة تكاد تنتضح بما اعتَمَل في قلوب العباسيين من كره للأمويين، وقد نقلت الصورة - بجمال سبكها ونقّة وصفها - المعنوي فبات ملموساً والخفي فأضحى ظاهراً معانيها؛ فالسما قد أمسكت مطرها شخاً على الأمويين كي لا يفيدوا منه، والأرض بذورها كذلك أمسكت عن الزيادة والنماء، والضرع قد ييس فالتصق جلده بعظمه، وأخلق جليباب الدين فبدا باليأ، وتعطلت حدود الدين، ولنا أن نتأمل تلك الدماء المهذرة تسيل من كل مكان، وفي كلّ مكان.

إنه التصوير الذي يُعطي الألفاظ حيوية، والشخص حركة، فتزداد النفوس تصديقاً واقتناعاً بما أراد الخطباء توصيله من آراء وتبليغه من مواقف، جلها معانٍ تقدح في الأمويين، وفي سوء سياستهم لرعيّتهم، واغتصابهم حقّ الخلافة على المسلمين من الورثة الحقيقيين له، وهم العباسيون على حدّ ما يزعمون، وبه يؤمنون.

ثانياً: صيغ الإقناع:

استخدم عدد من الخطباء السياسيين في العصر العباسي الأول في خطبتهم السياسية عدداً من الصيغ الكلامية التي حاولوا أن تكون مُعيناً لهم في إقناع مستمعيهم، بحيث تتعاقب على ألسانهم ضروب مختلفة منها، وهذه الصيغ هي: التأكيد، والتكرار، والاستفهام.

وكل هذه الصيغ مما عده أكثر النقاد من الصيغ التي تُكسب الكلام جدة وتنوعاً من جهة، وتجعل السامعين في نشاط ذهني متصل، ما يذهب عنهم السأم والملل من جهة ثانية، ويقوّي بها الخطيبُ رأيه ليُقنع المتلقين ويؤثر فيهم من جهة ثالثة.

وفي هذا المعنى يقول صاحب نفح الطيب: «هذا من التوسع في العبارة، والقدرة على التفنن في أساليب الكلام، وهو أمر صعب إلى الغاية (٧٢)».

وبدا واضحاً هنا التأكيد على قضية التنوع الذي يُحيّث المتكلم في كلامه، ما عتبر عنه بـ (التفنن في أساليب الكلام)، وفي تقديرنا إنما قصّد إلى تلك الصيغ المتعددة في كلام الخطيب التي يأتي بها ليوقظ بها السامع، ويحرك بها المشاعر؛ لتمكين المعاني في نفوس المتلقين «والحق أن الألفاظ والصيغ إذا ما استُخدمت بحنق، اتفق لها ما عزاه المؤمنون بالسحر فيما مضى، والحق أنها تثير في روح الجماعات أشد العواصف هولاً، كما أنها توجب سكونها» (٧٣)، وفي اللغة أساليب متعددة، وصيغ متنوعة، كان من أبرزها ملاحظة في مجموعة الخطب السياسية التي وقفنا عليها في العصر العباسي الأول، ما يلي:

١- التأكيد:

التأكيد: «تمكين الشيء في النفس، وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك، وإماطة الشبهات بما أنت بصده، وهو دقيق المأخذ، كثير الفوائد» (٧٤).

وهو بهذا المفهوم سيكون من الصيغ الضرورية التي تُستخدم لتثبيت المعاني

في النفوس؛ إذ الإنسان «مفطور على استعماله في كلامه لتقوية آرائه، وتثبيت أفكاره؛ لذلك استندت إليه الكتب الدينية والقوانين في جميع الأجيال على الدوام، ويعرف قيمة التوكيد رجالُ الدعوة الذين يدعون إلى الدفاع عن أية قضية سياسية، ورجال الصناعة الذين يبيعون أمر إنتاجاتهم بالإعلان» (٧٥).

إن الخطيب السياسي في العصر العباسي الأول - شأنه شأن أي خطيب آخر - استخدم مجموعة من الصيغ الكلامية التي يُدعم بها آراءه، ويثبت بها حجته، وقد برزت هناك قضايا متعددة أكد عليها الخطباء السياسيون في هذا العصر، مستخدمين لها عددًا من صيغ التوكيد، وظلت قضية أحقية العباسيين بالخلافة هي القضية الأساس؛ فكان على قدر إنكار المنكرين عليهم هذه الأحقية، كان التأكيد من قِبَل العباسيين لها لتقويتها وتثبيتها في نفوس الرعية، وحملها على الاقتناع بها والتسليم بأحقية العباسيين لها.

كان من أبرز الصيغ التوكيدية التي استخدمها الخطباء السياسيون في العصر العباسي الأول ما يلي:

١. ١- التوكيد بـ (إنّ، وأنّ) المُشَبَّهة بالفعل:

وهذا كثير في خطب السياسيّين في هذا العصر؛ نراه لدى الخليفة السفاح في أول خطبة له حين بويع بالخلافة فاستعمل مثلًا- (أنّ) في قوله: «وزعت السبئية الضلال أنّ غيرنا أحقّ بالرياسة والسياسة والخلافة منّا، فشاهت وجوههم،...» (٧٦)، وجاء استعماله لهذا الحرف المُشَبَّه بالفعل، على الرغم أنه ليس من زعمه هو، وإنما هو من زعم تلك الفرقة الشيعية؛ لكنه كان يُدرك أنه

يستطيع نقض زعمهم هذا بحُجج بيّنة ساقها بعد ذلك لئتكّر على مَنْ زعم ذلك الزعم، مما هو واضح في تنمة الخطبة.

ومثل هذا التأكيد بذلك الحرف يتكرر في خطبة لسُديف بن ميمون، وفي المضمون نفسه، حين قال: «أيزعم الضُّلال بما حبّطت أعمالهم أنْ غير آل محمد أولى بالخلافة؟ فلمَ وبِمَ أيها الناس؟... (٧٧)»، ثم راح يُفند ذلك الزعم بعدد من الحُجج التي تؤيد موقفه وتتقّض حجج خصومه.

وفي استعمال آخر للحرف (إنّ) المُشَبَّه بالفعل، يدور أيضًا في فلك الخلافة والأحقية بها، يؤكد داود بن عليّ، على السبب الرئيس لخروجهم على بني أمية، فيقول: «أيها الناس، وإنا والله ما خَرَجْنَا في طلب هذا الأمر لنكثّر لجينًا ولا عقيانًا، ولا نحفر نهرًا، ولا نبني قصرًا، وإِنَّمَا أَخْرَجْنَا الْإِنْفَةَ من ابتزازهم حقًّا، والغضبُ لبني عمّنا، وما كَرِثْنَا من أموركم، وبهظتنا من شؤونكم... (٧٨)»، وهو بهذا الاستعمال لـ (إنّ) الداخلة على الجملة الاسمية، في قوله: (وإنا)، ثم (إنّ) الداخلة على (ما) المؤكدة بالقسم؛ ليؤكد أنهم لم يخرجوا على الأمويين من أجل المطالبة بمتاع من الدنيا وزينتها؛ بل أخرجهم ظلم الأمويين، وابتزازهم حقوق الناس. ودخول (إنّ) هنا إنما زاد من قوة التعبير، إذ يحسّن تأكيد الكلام بها إذا كان المخاطب مُنكَرًا أو مُتَرَدِّدًا، على ما هو معروف عند علماء البلاغة (٧٩).

ويؤكد داود بن عليّ في الخطبة ذاتها، بالصيغة نفسها على مدى ما تحمّلوه من القهر والظلم من آل مروان في سبيل الصبر على حقهم الذي سلّبه منهم

الأمويون، فيقول: «يا أهل الكوفة، إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى أتاه الله لنا شيعتنا أهل خراسان، فأحيا بهم حقنا، وأفلح بهم حجتنا، وأظهر بهم بولتنا،...» (٨٠).

ولا يكاد يُنهي خطبته هذه حتى يعود ليؤكد أحقيتهم بالخلافة؛ لكنه في هذه المرة يُطلق العنان لتفاوله البعيد، وأمله المستقبل الذي ليس له حدود، وهو أن الخلافة ستبقى في آل العباس حتى يعود عيسى بن مريم إلى الأرض في آخر الزمان، كما ورد ذلك في بعض الآثار، فنجد في هذا المعنى: «فاعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا، حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم، والحمد لله رب العالمين على ما أبلائنا وأولائنا» (٨١).

وعلى عكس تلك الأحقية للعباسيين بأمر الإمامة والخلافة على المسلمين، يخرج عليهم محمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية، على عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، ليؤكد عدم أحقيتهم بذلك، إذ يرى أن أولى الناس بهما، إنما هم أبناء المهاجرين والأنصار، فيقول: «وإن أحق الناس بهذا الدين أبناء المهاجرين والأنصار المواسين، اللهم إلههم (٨٢) قد أحلوا حرامك، وحرّموا حلالك، وأمنوا من أخفت، وأخافوا من أمنت،...» (٨٣).

فنجد النفس الزكية في هذه الخطبة يستخدم هذه الصيغة التوكيدية (إن) على مستويين مختلفين؛ ففي الأول منهما جاء بها مجردة لمجرد التنبيه واستثارة الانتباه، وفي الثاني إنما أكدها باسمية الجملة وبخولها على الضمير (هم) زيادة منه في التأكيد لمن كان غافلاً أو منكراً أو حتى متردداً، إذ طبيعة الموقف

استدعت منه مثل تلك المستويات التأكيدية المختلفة.

ويمثل التوكيد بـ (إن) و (أن) نمطاً أسلوبياً في الخطابة السياسية في العصر العباسي الأول، اعتمد عليه الخطباء في تأكيد مواقفهم وتقنيد حجج خصومهم، في تجانب فكري حول قضية الخلافة ومن أحق الناس بها.

٢. ١- التوكيد بالقسم:

القسم أحد صيغ التوكيد للإقناع التي يقتضيها المقام، ويأتي - عادة - لإثبات أمر من الأمور التي يستبعدُ المخاطبُ وقوعها، وتقرير حقيقة من الحقائق وتوكيدها، وإزالة الشبهة عنها عند المُقسم له حتى يقبلها ويطمئن إليها.

والقسم من الصيغ الخطابية المعروفة لدى الإنسان التي كثيراً ما يستخدمها في عملية تواصله البلاغي بقصد جذب المُخاطب إليه، وإقناعه بأمر من الأمور (٨٤).

لذا نرى الخطباء السياسيين في العصر العباسي الأول، يكثر من استخدامه في خطبهم السياسية التي وقفنا عليها، ولا أدل على هذه الكثرة، من إحدى خطب داود بن علي التي أقسم فيها بعدد من الأقسام المختلفة، مؤكداً بها حقهم في أمر الخلافة.

وفي هذه الخطبة يقول: «أيها الناس، وإنا (والله) ما خرجنا في طلب هذا الأمر لنكثر لجيئنا ولا عقباتنا، ولا نحفر نهراً، ولا نبني قصراً...» (٨٥)، فنراه يُقسم بلفظ الجلالة الصريح (الله) مباشرة مستخدماً معه حرف الواو أشهر حروف القسم (٨٦)، مؤكداً بهذا القسم واثباتاً أمر أحقيتهم بالخلافة؛ ليزيل كل

شبهة عنها لدى المُقسَم له؛ فيطمئن إليها ويقبلها.

ثم وجدناه يتحول من صيغة القسم الصريح هذه إلى صيغة القسم المحذوف في قوله: «لقد كانت أموركم تُرمضنا (٨٧) ونحن على فرشنا، ويشتد علينا سوء سيرة بني أمية فيكم، ...» (٨٨)، وجاء القسم المحذوف في قوله: (لقد كانت أموركم)، حيث حذف القسم والمقسم به، دلت عليها اللام الواقعة في جوابه، وزيد في تأكيد الخبر بحرف التحقيق (قد)، ويكون تقدير الكلام: والله لقد كانت أموركم ترمضنا.

ويقسم في موضع ثالث بكلمات تُفيد معنى القسم إذ يقول: «...، لَكُمْ نعمة الله تبارك وتعالى، ونية رسول الله ﷺ، ونية العباس رحمه الله، أن نحكم فيكم بما أنزل الله، ونعمل فيكم بكتاب الله، ونسير في العامة منكم والخاصة بسيرة رسول الله ﷺ ...» (٨٩)، وهي على ما نلاحظ من الأقسام غير الصريحة، إذ استخدم فيها الخطيب كلمات تُفيد معنى القسم؛ فكأنه يقول: أعطيتكم أيها الناس عهد الله، وعهد رسول الله ﷺ، وعهد العباس، فهي مجموعة من المفردات التي تُستخدم للقسم يؤكد بها الخطيب لمستمعيه، أنهم - أي: العباسيين - إنما سيحكمون فيهم بما أنزل الله، ويعملون فيهم كذلك بكتاب الله، وسوف يسرون فيهم بسيرة الرسول ﷺ.

وهو باستخدامه لمثل تلك الصيغ المتلاحقة والمتنوعة من الأقسام؛ إنما يقوم بوظيفة التهيئة النفسية، وجذب الانتباه إلى ما سيُخبر به القوم، حيث لا يترك غفلا أو جاهلا أو مترددا أو شاكا، إلا ويجذبه نحوه، ويشده إليه، سعيا إلى

استمالته ومن ثم إقناعه.

ثم لا يكاد يُنهي خطبته تلك، حتى يعود في الموضوع الرابع إلى القسم بلفظ الجلالة (الله)، مستميلاً ومستعظفاً أهل الكوفة؛ لعلهم يقتنعون بصدق دعوته بأحقية العباسيين بالخلافة، فيقول: «يا أهل الكوفة، إنا (والله) ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا، حتى أتاه الله لنا شيعتنا أهل خراسان؛ فأحيا بهم حقنا، وأفلج بهم حجتنا، وأظهر بهم دولتنا، ...» (٩٠). إنها البلاغة الممزوجة بالفتنة والذكاء، ولنا أن نتأمل حال أهل الكوفة وهم يستمعون إلى مثل هذا القسم، القاضي بالاعتراف بدورهم العظيم في نصرة الدولة العباسية، وإحياء حقها، من أحد أعتى رجال السياسة في الدولة العباسية، وأحد أبرز صانعي القرار فيها، كداود بن علي؛ فحتمًا يأتي التسليم والاقناع.

وإذا ما تحولنا إلى الخليفة أبي جعفر المنصور، فإننا نجد له أيضًا أقسامًا متعددة في العديد من خطبه السياسية، يمكن لنا أن نقف على واحدة من تلك الخطب (٩١) التي أكثر فيها من القسم الذي يدور أيضًا في فلك الخلافة وأحقية العباسيين بها، ونقتطف منها أهم مواضع تلك الأقسام التي نرى من وجهة نظرنا، أن المقام قد استلزمها؛ فالمنصور قد أخذ عبد الله بن حسن وأهل بيته وحبسهم، وهم العلويون الذين يتمتعون بحب الناس ومؤازرتهم وتأييدهم، ما جعل المنصور يخشى من رد فعل أولئك المحبّين المتعاطفين، فما كان منه إلا أن واجه الناس، وراح يتحسس جانبيهم، ويُقوّم المبرر لما أقدم عليه، فكان سبيله إلى هذا التوكيد بالقسم المصدر بالتوكيد بـ (إن).

يقول: «وإنَّ أهل بيتي هؤلاء من ولد علي بن أبي طالب، تركناهم (والله الذي لا إله إلا هو) والخلافة، فلم نعرض لهم فيها بقليل ولا كثير، ...» (٩٢). فهو في قسمه في هذا الموضوع، يُقسم قسماً صريحاً - بالله الذي لا إله إلا هو - لشيعته من أهل خراسان: أن العباسيين بداية أمرهم ما كان يعنيه أمر الخلافة، أو التعرّض للعلويين فيها بقليل أو كثير، إلا أن سوء العلويين وتفریطهم فيها، دفعهم دفعا إلى المطالبة بحقهم وإرثهم الشرعي من ميراث النبي ﷺ.

وفي الموضوع الثاني لتلك الأقسام، يأتي به مُعترضا في كلامه بعد أن تحدّث عن قيلم الحسين بن علي بعد أخيه الحسن في طلبه الخلافة؛ فخدّعه أهل العراق وأهل الكوفة، فيقول: «ثم قام من بعده الحسين بن علي، فخدّعه أهل العراق وأهل الكوفة، أهل الشقاق والنفاق، والإغراق في الفتن، ... (فو الله)، ما هي بحرب فأحاربها، ولا سلم فأسالمها، فرّق الله بيني وبينها، فخلّكوه وأسلموه حتى قُتل، ...» (٩٣). وواضح هنا استعماله القسم في قوله: (فو الله، ما هي بحرب فأحاربها ...).

ثم في الموضوع الثالث من مجموع هذه الأقسام، يقول: «ثم وثب علينا بنو أمية، فاماتوا شرفنا، وأذهبوا عزنا، (والله) ما كانت لهم عندنا ترة (٩٤) يطلبونها، وما كان ذلك كله إلا فيهم، وبسبب خروجهم عليهم، فنّفوتنا من البلاد، ...» (٩٥). وهو يأتي بالقسم هنا بعد أن أنهى استعراضه التاريخي للأحداث وما مرّت به الخلافة من مراحل، ومن قام بها من الأشخاص، حتى وثب الأمويون على حق العباسيين بدون وجه حق.

ويأتي قسّمه الرابع عبارة عن قسّمين يتوجّه بهما لأهل خراسان مؤكّداً بهما أنّ ما قام به تجاه عبد الله بن حسن وأهل بيته، ليس من باب الجهالة أو التجنّي عليهم؛ بل بعد أعطائهم كثيراً من الفرص التي لم يستغلّوها درّةً للفتنة، وحقّقنا للدماء، فيقول: «فبّني (والله) يا أهل خراسان ما أتيت من هذا الأمر ما أتيت بجهالة، بلغني عنهم بعض السقم والتعرّم (١٦)، وقد دسستُ لهم رجلاً، فقلت: قم يا فلان، فخذ معك من المال كذا، وحنّوتُ لهم مثلاً يعملون عليه، فخرجوا حتّى أتوهم بالمدينة، فمسوا إليهم تلك الأموال، (فوالله) ما بقي منهم شيخ ولا شاب، ولا صغير ولا كبير، إلا بايعهم بيعة استحلّلتُ بها دماءهم وأموالهم، وحلّلتُ لي عند ذلك بنقضهم بيعتي، وطلبهم الفتنة، والتماسهم الخروج عليّ، فلا يرون أنّي أتيتُ ذلك على غير يقين (١٧)».

وفي تقديرنا أنّ تكرار هذا القسم في خاتمة هذه الخطبة، كان بمثابة جِماع لتلك الأقسام المتقدمة كلها؛ يهدف من ورائه الخطيب تبرّنه ساحتَه، ودفع التهمة عنه؛ لأنّ ما قام به نحو عبد الله بن حسن وأهل بيته يُعدّ أمراً خطيراً في ذلك الوقت، لما تحظى به تلك الأسرة من العلويين من تعاطف ومحبة كثير من الناس.

وبهذا تكون صيغة القسّم بأنواعها المتعددة من أهم الصيغ التي استخدمها عدد غير قليل من الخطباء السياسيين في العصر العباسي الأول؛ لما تتمتع به هذه الصيغة من القيام بدور التهيئة النفسية، وجذبها للوجدان، وإقناعها للعقل، وامتلاكها للعواطف الإنسانية.

٣. ١- التوكيد بالنون الثقيلة:

كان من صيغ التوكيد التي استخدمها بعض الخطباء السياسيين في خطبهم في العصر العباسي الأول، صيغة التوكيد بالنون الثقيلة، وصفقتها أن يؤكد الخطيب فعلي المضارع والأمر وذلك بإبدال نون مشددة على آخرهما، مما يزيد الكلام تأكيداً وقوة، وتكون المحصلة إقناعاً وتسليماً من قِبل المستمع.

يستخدم أبو العباس السفاح تلك الصيغة في خطبة له بالكوفة في الجمعة الثانية بعد تولية الخلافة، إذ يقول: «والله لا أعدكم شيئاً إلا وقَّيتُ بالوعد والوعد، و (لأُعْمِلَنَّ) اللين حتى لا تنفع إلا الشدة، و (لأُعْمِلَنَّ) السيف إلا في إقامة حدٍّ، أو بلوغ حقٍّ، و (لأُعْطِيَنَّكُمْ) حتى أرى العظية ضياعاً،...» (٩٨).

فهو كما نرى يؤكد على قضايا غالية في الأهمية، لاسيما في بداية تكوين هذه الدولة الوليدة، من بذل للين بلا حدود، دلّ عليه قوله (ولأُعْمِلَنَّ)، وما يقتضيه هذا الأمر من إغماد السيف، وعدم إخراجه من غمده مطلقاً؛ دلّ عليه قوله (ولأُعْمِلَنَّ)، إلا ما استلزمه الدين والشرع من إقامة الحدود، وبلوغ الحقوق، وكذلك قضية العطاء الذي يصل إلى حدّ السرف الذي قد يؤدي إلى تبديد وضياع أموال الدولة كلها، دلّ على ذلك قوله (ولأُعْطِيَنَّكُمْ)، كل ذلك من أجل الرعية، إذ المهم في ذلك إنما هو كامل الانقياد والانصياع لهذه الدولة الناشئة.

ووجدناه أيضاً في خطبته التي خطب بها في الشام حين قُتل مروان بن محمد، يستخدم كذلك هذه الصيغة المؤكدة بالنون الثقيلة؛ لكن مع فعل الأمر هذه المرة متحدثاً عن نفسه إذ يقول: «أما أمير المؤمنين، فقد انتتف (٩٩) بكم التوبة،

واغفر لكم الزلة، ... فليفرخ روعكم (١٠٠)، و (لنطمئن) به داركم، ...» (١٠١)،
وكاننا به في هذه الصيغة (ولنطمئن)، إنما يُطمئن رعيته، ويمتدح غفوه عن كل
من غرر به، فاتبع آل حرب وآل مروان، وهو استخدام للنون الثقيلة زاد به
توكيدا لمواقفه، وجمل به ما سبق منه من العفو والتجاوز.

وتأتي خطبة داود بن علي، وقد بلغه أن قوماً أظهروا شكاة بني العباس قوياً
في استخدام هذه الصيغة، تلك القوة التي عرفت بها خطبه بالمدينة، حيث كثر
فيها التهديد، وكثرة التأنيب، وخشونة العبارات، من ذلك ما جاء في هذه الخطبة:
«أما ومحمد والعباس، إن عنتم لمثل ما بدأتم لأخصدكم بظلمات السيوف، ثم
يُقني ربنا عنكم، ...» (١٠٢)، وهذا - على ما هو ملاحظ - استخدام لصيغة
التأكيد بالنون الثقيلة مبالغة منه في التهديد، بهدف التخويف والترجيع لكل من
تسول له نفسه حتى بمجرد إظهار الشكاة، أو التضجر من أحد من بني العباس،
مع تأكيدنا أن مثل هذه المواقف من الولاة وغيرهم ليست من الحرية في شيء
بل هي أداة العجزة من الذين يخفون في تحقيق العدل والمساواة لرعيته،
فيلجؤون إلى مثل هذه الأساليب من أساليب القمع والقهر.

هكذا رأينا كيف استخدم عدد من الخطباء السياسيين في العصر العباسي
الأول، عددًا من الصيغ التوكيدية في خطبهم السياسية، من خلفاء وولاة وأنصار
ومعارضين، كلُّ يُحاول أن يُقنع بهذه الصيغ جمهور مستمعيه، لما لهذه الصيغ
من قوة في التعبير، وإزالة للشكوك، وحض للشبهات، وتثبيت للحقائق، وقدره
في الإقناع والتأثير، ومن هنا جاز لنا القول: إن صيغ التوكيد هي إحدى فنون

الخطاب التي لا يمكن أن يستغني عنها أي متكلم بليغ ينشد الإقناع والتأثير.

٢- التكرار:

التكرار أو التكرير في اللغة: «الإعادة والترديد» (١٠٣). وفي الاصطلاح البلاغي هو: أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه، سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفا، أو يأتي بمعنى، ثم يعيده (١٠٤).

والتكرار نوعان: معنوي، وآخر لفظي. فالمعنوي إنما نقصد به: إعادة التعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة ليتضح ويقوى تأثيره. أما التكرار اللفظي، فيمكن أن نعرفه بأنه: إعادة اللفظة الواحدة عدداً من المرات في الموضوع الواحد، أو للمواضع المختلفة.

وصيغة التكرار من الصيغ التي تستعمل لتقوية المعنى، وتقريره في النفوس، وفي ذلك يقول الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): «إن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس، وتشبيهاً لها في الصدور، ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم؛ إلا ترديد ما يُراد تحفظه منها؟! وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب، وأرسخ في الفهم، وأثبت للذكر، وأبعد من النسيان» (١٠٥).

وللتكرار أثر كبير في إثارة الأهواء، وتوجيه الميول، وشد الانتباه، وإذا استعمله الخطيب بمهارة ودقة جذب السامعين إلى رأيه، وأخذهم إلى جانبه، وهو في الوقت نفسه مناسب للطبيعة الإنسانية المجبولة على الغفلة والنسيان، والإنكار والجحود، وما إلى ذلك، ولا يقيم هذا إلا تكرار المواظ والألفاظ

والمعاني (١٠٦) .

وقد فطن الجاحظ إلى قضية التكرار والترديد وأثرها في المتلقي، فقال: «وجملة القول في الترداد: إنه ليس فيه حد يُنتهى إليه، ولا يؤتى على وصفه، وإنما ذلك على قدر المستمعين، ومن يحضره من العوام والخواص، وقد رأينا الله عز وجل ردد قصة موسى وهود وهارون وشعيب وإبراهيم ولوط وعاد وثمود، وكذلك ذكر الجنة والنار، وأمورًا كثيرة؛ لأنه خاطب جميع الأمم من العرب، وأصناف العجم، وأكثرهم غبي غافل، أو معتد مشغول الفكر، وساهي القلب» (١٠٧) .

وواضح من كلام الجاحظ توصيفه للتكرار الحاصل في كلام المتكلم، إذ لا حدَّ له يُنتهى إليه، وإن كان هناك حدُّ له فالمتلقون للكلام هم من يُحدِّدون أقداره وحدوده، وهو بما يُعرف بمراعاة أحوال السامعين؛ لأن فيهم العوام والخواص، وفيهم الغبي الغافل، أو المعتاد المشغول ساهي القلب.

جاء في كتاب روح الجماعات لـ (جوستاف لوبون): «إن التوكيد والتكرار علامان قويان في تكوين الآراء وانتشارها، وإليها تستند التربية في كثير من المسائل، وبهما يستعين رجال السياسة والزعماء كل يوم في خطبهم، ولا يحتاج التوكيد إلى دليل عقلي يدعمه؛ وإنما يقتضي أن يكون وجيزًا حمليًا ذا وقع في النفس» (١٠٨) .

و(جوستاف لوبون) إنما يضعنا هنا على مفصل مهم في أهمية التكرار له اتصال مباشر بموضوع بحثنا، إذ التكرار من أهم أدوات الخطيب والزعيم

السياسي، وهو لا يحتاج معه إلى بذل الجهد أو إغراق المستمعين في بحور من الأدلة العقلية، والإثباتات المنطقية؛ فكل ما هو مطلوب من الخطيب في صيغة تكراره: أن تكون موجزة تتجلى فيها المعاني التي تثير الحماسة في نفس متلقيها، وأن تكون ذات تأثير مباشر في النفوس والعقول.

ولصيغة التكرار هذه ظهور ملحوظ في جل الخطب السياسية التي وقفنا عليها في العصر العباسي الأول بنوعيتها: التكرار المعنوي والتكرار اللفظي. ولعل التكرار المعنوي كان يدين كثير من الخطباء السياسيين العباسيين وأنصارهم، وبخاصة في موضوع أحقيتهم بأمر الخلافة على المسلمين دون غيرهم.

فمن ذلك ما جاء في خطبة أبي العباس السفاح - وقد بويع بالخلافة - من تكرير لمعنى أحقيتهم بالخلافة على المسلمين، وذلك في مواضع متعددة من خطبته من مثل قوله: «والزمنا كلمة التقوى، وجعلنا أحقَّ بها وأهلها، وخصنا برحم رسول الله ﷺ وقربته، وأنشأنا من آياته، وأنبتنا من شجرته، واشتقنا من نُبْغته، ...» (١٠٩)، وكلها دلائل ومؤشرات جاء بها الخطيب يقصد بها معنى واحداً، هو أحقيتهم بأمر الخلافة.

ويُعلن في موضع آخر من الخطبة نفسها ذلك صراحة بقوله: «وزعمت السبئية الضلال أن غيرنا أحقُّ بالرياسة والخلافة منا، فشاهت وجوههم، ...» (١١٠)، وهو تكرار لتلك الأحقية الخالصة لهم بالخلافة دون غيرهم.

ويُكرّر في موضع ثالث أيضًا تلك الأحقية للعباسيين بحق الخلافة، وكيف سلّبها منهم بنو حرب ومروان، وفي هذا يقول: «ثم وثب بنو حرب ومروان فلبتروها وتداولوها بينهم؛ فجاروا فيها، واستاثروا بها، وظلموا أهلها، فأملى الله لهم حينًا حتى أسفوه، فلما أسفوه انتقم منهم بأيدينا، وردّ علينا حقنا، وتدارك بنا أمتنا،...» (١١١)، وكلها معانٍ - كما هو واضح - تدور حول أحقية العباسيين - دون سواهم - بالخلافة، وأنهم أداة الله في أرضه، وأهله وحصنه؛ للحفاظ على هذا الأمر العظيم.

وأيضًا يكرر داود بن علي هذا المعنى وهو ميراثهم من الخلافة في كثير من خطبه؛ ففي إحداها يفتتح أول ما يفتتح به، فيقول: «الحمد لله شكرًا شكرًا شكرًا، الذي أهلك عدونا، وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد ﷺ» (١١٢)، وهو هنا بطبيعة الحال، إنما يقصد ميراث الخلافة التي ورثوها عن النبي الأكرم ﷺ.

والموضع الآخر الذي كرّر فيه هذا المعنى نفسه من الخطبة عينها، كان بعد أن هاجم مروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية هجومًا عنيفًا، ليخلص بعدنّز إلى حقيقة رجوع الحق إليهم من إرث الخلافة، فيقول: «فظنّ عدو الله أن لن نقدر عليه؛ فنأدى حربه، وجمع مكايده، ورمى بكتائبه، فوجد أمامه ووراءه، ... ما أمانت باطله، ومحق ضلاله، وجعل دائرة السوء به، وأحيا شرفنا وعزنا، وردّ إلينا حقنا وإرثنا،...» (١١٣).

ولا يكاد يُنهي خطبته تلك حتى يعود ليكرر المعنى ذاته؛ معنى الأحقية المطلقة للعباسيين بالخلافة بشكل قطعي، تحوط به الثقة المفرطة، والأمل الذي

ليس له حدود، فيقول: «...، فاعطوا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا، حتى نُسلمه إلى عيسى بن مريم عليه السلام، والحمد لله على ما أبلائنا وأولائنا» (١١٤).

ويكرر في خطبة أخرى له خطبها بمكة، أيضاً تلك الأحقية لهم بالخلافة، مستخدماً في ذلك ضرب المثل ليزيد من تأكيد الأمر، فقال: «...، فالآن حيث أخذ القوس باريها، وعالت النبل إلى التزعة، ورجع الملك في نصلبه من أهل بيت النبوة والرحمة، ...» (١١٥)، وأنه لو أوضح قصده من ذلك، إذ قصد بأخذ القوس وباريها، وعودة النبل إلى التزعة، ورجوع الملك في النصاب؛ قصد بذلك كله: رجوع الخلافة إلى العباسيين إذ هم أحق الناس وأولاهم بها.

ولم يثن أبا جعفر المنصور كذلك تكرارُ هذا المعنى الذي قامت عليه دولته معنى أحقيتهم بالخلافة في كثير من خطبه السياسية (١١٦)، وكذا فعل أنصار الخلافة العباسية أمثال سديف بن ميمون (١١٧)، وأبي مسلم الخراساني (١١٨) وغيرهما، في كل مناسبة يفترون فيها المنابر، إذ كان هذا هو همهم وشغلهم الشاغل في هذا التوقيت من قيام دولتهم الجديدة.

وكما استعان العباسيون بالتكرار المعنوي لبيان أحقيتهم بالخلافة، فقد اعتمدوا - كذلك - على التكرار اللفظي، فقد وجدنا في مجموعة ما وقفنا عليه من خطب سياسية، عدداً منهم يُكرر مجموعة من الألفاظ يُلقت إليها الأنظار، ويسترعي بها الأسماع.

ولفظة (الشكر)، من الألفاظ التي أكثر بعض الخطباء السياسيين من استخدامها في خطبهم السياسية؛ فهذا داود بن علي يبدأ بها إحدى خطبه مُكرراً

لها تكريراً لافتاً للمستمع، فوجدناه قد كررها لثلاث مرات متتاليات، إذ قال: «الحمد لله شكراً شكراً شكراً، الذي أهلك عدونا، وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد ﷺ، ...» (١١٩).

وفي هذا التكرار اللفظي اللافت دلالة واضحة على شيء من الفرح والحبور بظفر العباسيين، وانتصارهم على أعدائهم الأمويين، ورجوع حقهم السليب من الخلافة إليهم، وميراث النبي ﷺ، تجلّى ذلك من خلال التكرار الذي ترك صداه في القلوب قبل الأذان.

ويستخدم داود بن علي أيضاً اللفظة ذاتها مكررة في افتتاح خطبة أخرى له بمكة في أول موسم ملكه بنو العباس، إذ يقول: «شكراً شكراً، إنا والله ما خرجنا لنحفر فيكم نهراً، ولا لنبني فيكم قصراً، ...» (١٢٠)، وفي تقديرنا أن التكرار هنا مما يزيد من التأثير في المستمعين، ويعمل على إقناعهم بقضيته وقضية العباسيين الأولى التي هي استحقاقهم للخلافة، ورجوع ذلك إليهم، وانحدار عدوهم وخذلانه.

ويأتي عيسى بن علي كذلك بلفظة (الشكر) مكررة في خطبته - وقد قُتل مروان ابن محمد في موقعة الزاب الشهيرة - إذ توجه للناس بعد أن قام بوصف ما كان عليه الأمويون من فساد وإفساد في الأرض، إلى أن قال: «وملكننا الله أمركم عبادة الله، لينظر كيف تعملون، فالشكرُ الشكرُ؛ فبته من دواعي المزيد، ...» (١٢١)، وهنا واضح لنا غرض التكرار؛ فهو من دواعي المزيد من الفضل والإنعام من المولى سبحانه وتعالى، وذلك مصداقاً لقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ

ثَاذَنْ رَبُّكُمْ لَنْ شَكَرْتُمْ لِأَرْيَدَنَّكُمْ وَلَنْ كُفِّرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ» (١٢٢)، فكان عيسى بن علي يقول: فله مزيد الشكر أن ملكنا أمر عبد الله، بعودة الخلافة إلينا. وهو بهذه الصيغة التكرارية إنما يزيد من الإقناع والتأثير في نفوس مَنْ كانوا يستمعون إليه.

ومن الألفاظ التي لاحظنا تكررها، لفظة (تَبًّا)، إذ كررها داود بن علي مرتين داعيًا على بني حرب بن أمية، وبني مروان، وذلك في إحدى خطبه، فكان مما قال فيها: «تَبًّا تَبًّا لبني حرب بن أمية، وبني مروان، أثروا في مُنتهم وعصرهم العاجلة على الأجلة...» (١٢٣). وهو تكرر فيه الدعاء بهلكة بني أمية، ويحمل حقًا دقيقتًا عليهم، يزيد من إقناع مستمعيه بشناعة ما قاموا به، وتهويل ما صنعوا، وما أقدموا عليه من ركوب الأثام، وظلم الأنام، وانتهاك المحارم، وغشيان الجرائم، على حد زعمه.

ويكرر أبو جعفر المنصور لفظة (سَمْعًا) في خطبته التي قاطعه فيها أحد العامة (١٢٤)، إذ قال: «سَمْعًا سَمْعًا لَمَنْ فُهِمَ عَنْ اللَّهِ، وَنُكِرَ بِهِ...» (١٢٥). وإنما استعمل المنصور التكرار اللفظي هنا ببراعة ليظهر مدى تمسكه بالحق، وتطبيقه له، مؤكدًا في الوقت ذاته على قضية الاستماع لأي أحد، ما دام النص في الحق وللحق، ثم ليزيد بتلك البراعة إقناع ذلك الجمع الغفير من المستمعين له بما سيقوله بعد أن قوطع في خطبته، بهذا الشكل غير المعتاد من جهة، ولِيَهْدِي من روع ذلك المنفع الذي قطع عليه خطبته من جهة أخرى.

ووجدنا في خطبة الخليفة الأمين التي قالها حين تولى الأمر عنه، تكريرًا

للجملة التالية: (عَلِمَ اللهُ)، وذلك في موضعين متتاليين، فقال مبرراً ومستعظفاً: «واجتهدت - عَلِمَ اللهُ - في طلب رضاكم بكل ما قدرتُ عليه، واجتهدتم - عَلِمَ اللهُ - في مسأعتي في كل يوم ما قدرتُم عليه، ...» (١٢٦).

وكانه بهذا التكرار اللفظي يستعطف كل من كان معه في المدينة من القواد والجنود، يريد إقناعهم بأنه قد قنم لهم كل ما حواه ملكه، ونالته قدرته مما جمعه وورثه عن آبائه، لعل مثل هذه الصيغة أن تفعل فعلها في قلوب أولئك الذين أطاحوا به، وأسقطوا سلطانه وخلافته من جُند أخيه المأمون.

وهكذا نجد ما للتكرار بنوعيه المعنوي واللفظي من قوة في البيان، ومقدرة على الإقناع، إذ هو من أهم الصيغ لبث الأفكار في النفوس، وترسيخها في القلوب.

٣- الاستفهام:

الاستفهام في اللغة: طلب الفهم، تقول العرب: «استفهمته؛ أي سألته أن يفهمه» (١٢٧)، فإذا استفهمت عن شيء فإنك تطلب من المستفهم منه بقل الفائدة لك، وتعريفك بالشيء المجهول لديك (١٢٨). وهو كذلك بمعنى الاستخبار، أي طلب خبر ما ليس عندك، وقيل: «الاستخبار ما سبق أولاً ولم يفهم حق الفهم، فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً» (١٢٩).

والاستفهام منه الحقيقي، وغير الحقيقي، فالحقيقي: هو طلب الفهم إذا كان السائل جاهلاً عما يسأل عنه. وأما غير الحقيقي: فهو أن يكون السائل عالماً سلفاً

بإجابة سؤاله؛ وإنما يريد امتحان المخاطبين، أو اختبار معارفهم، أو الإنكار عليهم (١٣٠).

ولدى تتبعنا لصيغة الاستفهام في أشهر الخطب السياسية التي وقفنا عليها في العصر العباسي الأول، وجدناها من الاستفهام غير الحقيقي، وكان منه: الاستفهام الإنكاري بأغراضه المختلفة من تهكم وسخرية وتعجب، ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل، إما لأنه ادعى القدرة على فعل لا يقدر عليه، وإما لأنه هم بأن يفعل ما لا يُستصوب فعله.

والخطيب السياسي في العصر العباسي الأول، وجد نفسه مؤهلاً لاستخدام مثل هذه الصيغة بحكم ما يمتلكه معظم خطباء السياسة في صدر هذا العصر من أدوات البيان، ولوازم الفصاحة، وبحكم بلاغة هذه الصيغة وقدرتها على الإقناع والتأثير؛ كيف لا، والقرآن الكريم قد اعتمد عليها اعتماداً كبيراً في أغلب سورته، مگها ومدنيها، ولم تخل منه - في الغالب - إلا بعض السور القصار؟ (١٣١).

ويتوجه الخليفة السفاح - مثلاً - في خطبته (١٣٢) التي خطب بها بالشام حين قتل مروان بن محمد بالسؤال الآتي، بعد أن بين لأهل الشام حقيقة آل حرب وآل مروان من تبديلهم لنعمة الله ونكوصهم بهم، وإيرادهم المزلات، فيقول: «ماذا يقول زعمائكم غدا؟» (١٣٣)، وهو سؤال إنكاري تهكمي، يُجيب هو عنه بقوله في الخطبة ذاتها مقتبساً قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَاتَّيَهُمْ عَذَابٌ ضِيقًا مِّنَ النَّارِ ﴾ (١٣٤)، إذ كان يرى أنها هي الإجابة الشافية لقوم هذه صفاتهم، وتلك فعالهم.

ويستفهم عيسى بن علي في خطبته (١٣٥) أيضًا في حادثة مقتل مروان بن محمد، فيقول: «فحتى متى؟ وإلى متى؟» (١٣٦)، وهو من الاستفهام الإنكاري التعجبي، الذي يسترعي به الأسماع، ويستثير به الأفهام، إذ كل الحوادث دالة على فساد بني أمية وخلفائهم من جذب الأرض، وقحل الضروع، وإبطال الحدود وتعطيل أمور الدين، وإهدار الدماء، على ما بين ذلك في خطبته السابقة، لذا جاء بالصيغة الاستفهامية الإنكارية التعجبية تلك.

ولداود بن علي خطبة بالمدينة يقول فيها مخاطبًا أهل المدينة: «أيها الناس، حثام يهتف بكم صريخكم، أما أن لراقبيكم أن يهبط من نومه ...، أغركم الإهمال حتى حسبتموه الإهمال؟ هيهات منكم، وكيف بكم، والسوط كفي، والسيف مشهور؟» (١٣٧). وهي خطبة حافلة بعدد من صيغ الاستفهام الإنكاري؛ فاستفهامه الأول: في قوله: «حثام يهتف بكم صريخكم؟» (١٣٨)، وهو استفهام إنكاري تعجبي، بمعنى حتى متى هذا الصريخ؟! فهو ينكر عليهم ما انتهى إلى سمعه عنهم من الشكاية والضجر من حكم العباسيين.

أما استفهامه الإنكاري الثاني فجاء به على صورة الإنكار التهكمي فقال: «أما أن لراقبيكم أن يهبط من نومه؟» (١٣٩)، وهو سؤال فيه الإنكار عليهم من شكايتهم وتنمّرهم من العباسيين، ثم التهكم بكثرة ما كان منهم من رقاد طويل غير معلوم متى أوان قيامه.

ويأتي استفهامه الثالث في خطبته تلك بقوله: «أغركم الإهمال حتى حسبتموه الإهمال؟ هيهات منكم، وكيف بكم، والسوط كفي، والسيف مشهور؟» (١٤٠)،

وهو من الاستفهام الإنكاري الذي يحمل كثيرًا من معاني التوبيخ والتعنيف، إذ كأنه يقول: هل حسبتم أن إمهالنا لكم إهمال؟ لا والله! ما أهملناكم ولا نسيناكم ولا تركناكم وشأنكم، تُرجفون ما شئتم أن ترجفوا، وتفعلون ما تريدون مما سئلته لكم أنفسكم، وزينته في أعينكم هواكم، لا بل إنا لكم بالمرصاد، أو تظنون أنكم منا آمنون، أو أننا عن قهركم عاجزون؟ قد بعد ذلك عنكم كل البعد، فلا آمن لكم منا، وإنا على ردعكم لقادرون ما دام السيف مشهراً في أيدينا، وما دامت السياط طوع أكفنا.

وله أيضًا خطبة أخرى (١٤١) وجعلناها كذلك ملينة بأنواع مختلفة من الاستفهامات الإنكارية، من أول الخطبة إلى آخرها، نأتي على أهمها من مثل قوله: «أغدرًا يا أهل الخثر والتبديل؟» (١٤٢)، وهو استفهام إنكاري توبيخي، أرففه باستفهام توبيخي آخر: «ألم يروغكم الفتح المبين عن الخوض في نم أمير المؤمنين؟» (١٤٣)، ثم يلتي بسؤال إنكاري تعجبي هو: «كيف قامت شفاؤكم بالشكوى لأمر المؤمنين؟» (١٤٤)، ليجيب هو عن ذلك بربط مُحكم بين الاستفهامين، فيقول: «بعد أن حقت أجالكم فأرجاها، وانبعثت بماؤكم فحقتها» (١٤٥).

وكانه يقول: فكيف لا تردعون ولا تزدجرون عن نم أبي العباس السفاح؟ ألا تخافون بطشه؟ ألا يرهبكم سلطانه، وقد رأيتم كيف نصره الله على الأمويين وجيوش الشاميين، وكان أهل قوة ومنعة، وأنت أهل ضعف ووهن؟ فالأحرى بكم أن تتعظوا وتزدجروا بذلك الانتصار العظيم. وهو يشبهه هنا بفتح مكة الذي

وصفه القرآن الكريم بأنه فتح مبين، إذ قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ (١٤٦) .

ويبدأ سديف بن ميمون خطبة له (١٤٧) ذات مرة بهجوم على كل المعارضين لآل العباس، وذلك بالسؤال التالي: «أيزعم الضلال بما حبطت أعمالهم أن غير آل محمد أولى بالخلافة؟ فلمَ وبمَ أيها الناس؟» (١٤٨)، وهما سؤالان إنكاريان تهكميان متتابعان، يُظهر فيهما إنكاره وتهكمه وسخريته ممن زعموا ذلك الزعم، لا سيما بعد أن ساق حُججاً مُلزِمة، ودلائل قاطعة على أحقية آل العباس بالخلافة.

وفي خطبة لأبي مسلم الخراساني (١٤٩) قالها ممتنعاً العباس عم الرسول ﷺ يستخدم صيغة السؤال الإنكاري التقريري؛ فيقول: «وكيف لا تخضع له الأمم لوأجب حق الحرمة؟...» (١٥٠)، ثم وجدناه يُجيب بمعطيات ثبوتية، وحقائق مُلزِمة، هي من وجهة نظرنا التي جعلته يستخدم صيغة الاستفهام الإنكاري التقريري؛ فالعباس: «أبو رسول الله ﷺ بعد أبيه، وإحدى يديه، وجلدة ما بين عينيه، أمينه يوم العقبة، وناصره بمكة، ورسوله إلى أهلها، وحاميه يوم حنين، عند ملتقى الفنتين، لا يخالف له رسماً، ولا يعصي له حكماً...» (١٥١) . وكل ذلك ثابت مقرر، نجح الخطيب في استثارة انتباه السامع وشعوره نحوه عن طريق هذه الصيغة الاستفهامية.

وفي خطبة (١٥٢) ابن طباطبا العلوي حين انتهب قائد جيوشه أبو السرايا السري قصر العباس بن موسى، يستخدم فيها استفهاماً إنكارياً تعجبياً من جماعة

قالت: «إِنَّ بني العباس فيء لنا، نخوض في ممانهم، ونرتع في أموالهم، وَيَقْبَل قولنا فيهم، وَثُصْنَق دعوانا عليهم» (١٥٣)، إن ذلك لحكم صادر بلا علم ولا روية، والعجب لمن يُطلق بذلك القول لسانه، أو يُحدِّث به نفسه، «أبكتاب الله تعالى حكم؟ أم بسنة نبيه ﷺ اثبع؟ أفي ميلي معه طمع، أم بسط يدي له بالوجود أم؟» (١٥٤)، وكلها استفهامات إنكارية تجعل السامع يقف عندها كثيرًا متنبهاً متأملاً.

يتضح مما سبق ما لهذه الصيغة الكلامية الاستفهامية من تميّز واضح في وصف وإثارة كثير من القضايا السياسية، التي أراد السياسيون في العصر العباسي الأول طرحها على جماعة من المتلقين، فطرت نفوسهم البشرية على حب الاستطلاع والرغبة في معرفة المجهول، وبلاستفهام أمكن مخاطبة تلك النفوس وتحريكها وتنشيط آلة التفكير فيها.

على هذا النحو حشد خطباء العصر العباسي الأول طاقاتهم البيانية وقدراتهم البلاغية في توظيف آليات متعددة لإقناع متلقيهم بمواقفهم السياسية، وهي آليات جمعت بين الوسائل والصيغ، فكان من تلك: الاقتباس والتضمين والتصوير، والتأكيد والتكرار والاستفهام، وهو ما يلفت إلى وعي هؤلاء الخطباء بدورهم في حشد الجماهير وقدرتهم على التقاط الآليات الملانمة لتحقيق ذلك، بما يؤكد أن من آمن بقضية لن يعدم الوسائل لإقناع الآخرين بها.

الهوامش

١- راجع في هذه التعريفات: هاري ميلز: "فن الإقناع"، الرياض- جدة، مكتبة جرير، ط. السابعة، ٢٠٠٦م، ص ٢.

موقع منتديات الزاخر www.alzaker.com

موقع منتديات المتون www.almton.com

٢- انظر في الفرق بين الاقتباس والتضمين: عرفة حلمي عباس، "الاقتباس القرآني والحديثي في مقامات الحريري"، القاهرة، مكتبة الآداب، ط. الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ص ١٠-١٣.

٣- الجاحظ: "البيان والتبيين"، بيروت، المكتبة العصرية، تحقيق: درويش جويدي، ٨٠/١.

٤- انظرها في: الطبري، "تاريخ الأمم والملوك"، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣م، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ٧/٤٢٥-٤٢٦.

٥- الأحزاب/٣٣.

٦- الشورى/٢٣.

٧- الشعراء/٢١٤.

٨- الحشر/٧.

٩- الأنفال/٤١.

١٠- المائدة/١.

- ١١- ابن أبي الحديد، "شرح نهج البلاغة"، القاهرة، دار الكتب العربية، د.ت، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٥٧/٧.
- ١٢- إبراهيم/٢٨-٢٩.
- ١٣- الأعراف/٣٨.
- ١٤- النمل/٥٢.
- ١٥- الأحزاب/٣٣.
- * أنصور أن كثرة اقتباس العباسيين وأنصارهم لهذه الآية إنما هو لتأكيد قرابتهم من الرسول ﷺ وكونهم من آل؛ إذ العباس الذي يُنسب إليه العباسيون هو عم رسول الله ﷺ ، وجاءت هذه الآية بلفظ «أهل البيت» ، على الرغم أن المقصود تحديدًا في هذه الآية من نساء النبي ﷺ - عليهن رضوان الله - بدليل ما قبلها وما بعدها، على ما ذكره عامة المفسرين. انظر مثلاً: ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، حلب، مكتبة التراث الإسلامي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ٤٨٣/٣-٤٨٦.
- ١٦- انظرها في: الطبري، ٥٥٨/٧.
- ١٧- النازعات/٢٤.
- ١٨- ابن عبد ربه، "العقد الفريد"، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، ١٨٣/٤.
- ١٩- هو زعيم فرقة الحمزية إحدى فرق الخوارج العجاردة. انظر: أبو الفتح الشهرستاني، "الملل والنحل"، بيروت، دار المعرفة، ط. الثانية،

١٤١٣هـ/١٩٩٢م، تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور،
١٥٠/١.

٢٠- الأنفال/٤٥.

٢١- الطبري، ٩١/٨.

٢٢- هود/٤٤.

٢٣- المؤمنون/٤١.

٢٤- الحجر/٩١.

٢٥- هود/١٨، و النحل/٣٤، و الأحقاف، خاتمة الآية ٢٦.

٢٦- الحج/٤٥.

٢٧- إبراهيم/١٥.

٢٨- مريم/٩٨.

٢٩- الطبري، ٤٢٦/٧.

٣٠- الفتح/٢٦.

٣١- الطبري، ٤٢٦/٧.

٣٢- التوبة/١٢٨.

٣٣- الطبري، ٤٢٧/٧.

٣٤- الأعراف/٩٧.

- ٣٥- سبا/١٩.
- ٣٦- هود/٤٤.
- ٣٧- المؤمنون/٤١.
- ٣٨- العلوي، "مواسم الأدب وأثار العجم والعرب"، الطائف، مكتبة المعارف، دت، ١١٥/٢.
- ٣٩- الأعراف/٤٤.
- ٤٠- الأعراف/١٣٧.
- ٤١- الروم/٥٨، الزمر/٢٧ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ .
- ٤٢- إبراهيم/٤٥.
- ٤٣- ابن وهب، "البرهان في وجوه البيان"، بغداد، مطبعة الحرية، د.ن، ١٩٦٧م، تحقيق: أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، ص ص ١١٧-١١٨.
- ٤٤- ابن قتيبة، "عيون الأخبار"، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٤٣هـ ٢٥٢/٢.
- ٤٥- قاتل هذا البيت غير معروف، وإنما تكرر أكثر الأدياء البيت معلقين عليه وشارحين له. انظر: أبو الفضل النيسابوري، "مجمع الأمثال"، بيروت، دار الفكر العربي، ط. الثالثة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٢م، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ١٩/٢.

- ٤٦- الأصل في هذا المثل هو قولهم: «عاد السهم إلى النّزعة» أي رجع الحق إلى أهله، والنزعة: الرماة، من (نَزَعَ في قوسه) أي: رمى ...، ويُكنّى بها عن الهزيمة تقع على القوم. انظر: "مجمع الأمثال"، ١٨/٢.
- ٤٧- الجاحظ، "البيان والتبيين"، ١٩٨/١.
- ٤٨- العسكري، "كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر"، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٢٢.
- ٤٩- العلوي، "مواسم الأدب"، ١١٥/٢.
- ٥٠- "الضراء" في اللغة الشجر الملتف في الوادي، يقال: توارى الصيدُ منه في ضراء، وفلانٌ يمشي الضراء: إذا مشى مستخفياً فيما يوارى من الشجر. انظر: ابن منظور، "لسان العرب"، بيروت، دار صادر، ١٣٨٨هـ/١٩٦٦م، ٤/٤٨٣، مادة [ضرر].
- ٥١- "الخمر"، بوزن الفرح: كل ما داراك من شجر أو بناء أو غيره مما يتلّى منه الإظلال أو ما يمكن أن يختفي الإنسان خلفه أو تحته. انظر: "لسان العرب"، ٢٥٦/٤. [مادة خمر].
- ٥٢- انظر: النيسابوري، "مجمع الأمثال"، ٤١٧/٢.
- ٥٣- الطبري، ٩٤/٨.
- ٥٤- المصدر السابق، ٤٠٢/٨، ٤٠٣.
- ٥٥- النيسابوري، "مجمع الأمثال"، ٢٨٩/٢.
- ٥٦- العلوي، "مواسم الأدب" ١١٣/٢، ١١٤.

- ٥٧- انظرها في: ابن عبد ربه، "العقد الفريد"، ١٦٣/٤.
- ٥٨- هذان البيتان للشاعر المهلهل، قالهما يوم قتلت بنو شيبان كليب بن وائل، وقعدت قبيلة بني بكر عن نصره بني شيبان. انظر: "العقد الفريد"، ١٦٣/٤.
- ٥٩- أصل هذا البيت من قصيدة لقعنّب بن أم صاحب، من مختارات ابن الشجري، القاهرة، دار نهضة مصر، د.ت، تحقيق: علي محمد البجاوي، ص ٣٠.
- ٦٠- انظرها في: الطبري، ٩٢/٨-٩٣.
- ٦١- هذان البيتان هما من قصيدة لقعنّب بن أم صاحب، من مختارات ابن الشجري، ص ٣٠.
- ٦٢- لا يُستبعد أن يكون صالح بن علي، هو صاحب هذه الأبيات، انظر: ابن عبد ربه، "العقد الفريد"، ١٦٣/٤.
- ٦٣- انظر: سيد قطب، "التصوير الفني في القرآن"، القاهرة، دار الشروق، ط. السادسة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ٣٢ وما بعدها.
- ٦٤- انظر: القرطاجني، "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، تونس، دار الكتب الشرقية، ١٩٦٦م، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، ص ٧٠-٧٢.
- ٦٥- المصدر السابق، ص ٧٣.
- ٦٦- الطبري، ٤٢٦/٧.
- ٦٧- ابن عبد ربه، "العقد الفريد"، ١٦٣/٤.

آليات الإقناع في الخطابة السياسية في العصر العباسي الأول **فكر وإبداع**

- ٦٨- جمع مَنَحْضَة، وهي للمَثَلَة، انظر: "لسان العرب"، ١٤٨/٧، مادة [نحض].
- ٦٩- ابن عبد ربه، "العقد الفريد"، ١٦٠/٤.
- ٧٠- انظر في تلك الوقعتين: محمد الخضري، "الدولة الأموية"، بيروت، دار المعرفة ط. السادسة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص ٣٢٧/٢ وما بعدها.
- ٧١- ابن أبي الحديد، "شرح نهج البلاغة"، ١٥٦-١٥٥/٧.
- ٧٢- أحمد بن المقري التلمساني، "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م، تحقيق: إحسان عباس، ٥٦٥/٣.
- ٧٣- جوستاف لوبون، "روح الجماعات"، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٥م، ترجمة: عادل زعيتر، ص ٩٦.
- ٧٤- يحيى بن حمزه العلوي اليمني، "الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز"، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ١٧٦/٢.
- ٧٥- عيسى باطاهر، "أساليب الإقناع في القرآن الكريم"، عمان-الأردن، دار الضياء للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ١٣٠.
- ٧٦- الطبري، ٤٢٥/٧-٤٢٦.
- ٧٧- ابن عبد ربه، "العقد الفريد"، ٣٠١/٢.
- ٧٨- الطبري، ٤٢٦/٧.
- ٧٩- انظر: العلوي، "الطراز..."، ١٧٦/٢ وما بعدها.
- ٨٠- الطبري، ٤٢٧/٧-٤٢٨.

- ٨١٢- المصدر السابق، ٤٢٨/٧.
- ٨٢- يعني: العباسيين.
- ٨٣- الطبري، ٥٥٨/٧.
- ٨٤- انظر: با طاهر، "أساليب الإقناع في القرآن الكريم"، ص ١٣٩.
- ٨٥- الطبري، ٤٢٦/٧.
- ٨٦- انظر: سيبويه، "الكتاب"، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، تحقيق: إميل بديع يعقوب، ٥٥٢/٣.
- ٨٧- أرْمَضَةٌ: أَوْجَعَهُ وأَحْرَقَهُ. انظر: "لسان العرب"، ١٦٠/٧، مادة [رمض].
- ٨٨- ٨٩- الطبري، ٤٢٦/٧.
- ٩٠- المصدر السابق، ٤٢٧/٧.
- ٩١- هي خطبته، وقد أخذ عبد الله بن حسن وأهل بيته، انظرها كاملة في: الطبري، ٩٣-٩٢/٨.
- ٩٢- ٩٣- المصدر السابق، ٩٣-٩٢/٨.
- ٩٤- يعني: ثار.
- ٩٥- الطبري، ٩٣-٩٢/٨.
- ٩٦- الأصل فيه: تعرَّضه، تعرَّفه ونزع ما عليه من اللحم. انظر: "لسان العرب"، ٣٩٥/١٢، مادة [عزم].
- ٩٧- الطبري، ٩٣-٩٢/٨.

- ٩٨- ابن أبي الحديد، "شرح نهج البلاغة"، ١٥٧/٧.
- ٩٩- بمعنى: استأنف وابتدأ.
- ١٠٠- الرُّوع بالضم القلب، أو موضع الفزع منه. انظر: "لسان العرب"، ١٣٥/٨، مادة [روع].
- ١٠١- ابن عبد ربه، "العقد الفريد"، ١٦٠/٤.
- ١٠٢- العلوي، "مواسم الأدب"، ١١٥/٢.
- ١٠٣- "لسان العرب"، ١٣٥/٥، [مادة كرر].
- ١٠٤- انظر: ابن الأثير، "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ١١٠/٢، ١٣٧.
- ١٠٥- الزمخشري، "الكشاف"، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٦م، ٣٣٤/٣.
- ١٠٦- انظر: الزركشي، "البرهان في علوم القرآن"، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط. الثالثة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ٩/٣.
- ١٠٧- "البيان والتبيين"، ٧٢/١.
- ١٠٨- "روح الجماعات"، ص ١١٥.
- ١٠٩- ١١١ - الطبري، ٤٢٥/٧.
- ١١٢- ١١٣- المصدر السابق، ٤٢٦/٧.
- ١١٤- المصدر السابق، ٤٢٧/٧.

- ١١٥- "البيان والتبيين"، ١٩٨/١.
- ١١٦- انظر: الطبري، ٩٢/٨-٩٣.
- ١١٧- انظر: "العقد الفريد"، ٣٠١/٢.
- ١١٨- انظر: "شرح نهج البلاغة"، ١٦١/٧.
- ١١٩- الطبري، ٤٢٦/٧.
- ١٢٠- "البيان والتبيين"، ١٩٨/١.
- ١٢١- ابن أبي الحديد، "شرح نهج البلاغة"، ١٥٦-١٥٥/٧.
- ١٢٢- إبراهيم/٧.
- ١٢٣- الطبري، ٤٢٧/٧.
- ١٢٤- انظرها كاملة بمناسبتها التي قيلت فيها في: الطبري، ٩٠/٨.
- ١٢٥- المصدر السابق، ٩٠/٨.
- ١٢٦- المصدر السابق، ٢٠٥/١٠.
- ١٢٧- "لسان العرب"، ٤٥٩/١٢، مادة [فهم].
- ١٢٨- انظر: ابن وهب، "البرهان في وجوه البيان"، ص ١١٣.
- ١٢٩- السيوطي، "معترك الأقران في إعجاز القرآن، القاهرة"، دار الفكر العربي، ١٩٦٩م، ٤٣١/١.

- ١٣٠- انظر في الأغراض الاستفهامية وتفرعها: عبد العليم السيد فودة، "أساليب الإستفهام في القرآن"، القاهرة، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم، دبت، ص ١٩٣ وما بعدها.
- ١٣١- انظر: با طاهر، "أساليب الإقناع ..."، ص ١١٣ وما بعدها.
- ١٣٢- ١٣٣- انظرها كاملة في: ابن عبد ربه، "العقد الفريد"، ١٦٠/٤.
- ١٣٤- الأعراف/ ٣٨.
- ١٣٥- ١٣٦- انظرها في: ابن أبي الحديد، "شرح نهج البلاغة"، ١٥٥/٧- ١٥٦.
- ١٣٧- ١٤٠- ابن عبد ربه، "العقد للفريد"، ١٦٣/٤.
- ١٤١- ١٤٥- انظر: العلوي، "شرح نهج البلاغة"، ١١٥/٢.
- ١٤٦- الفتح/ ١.
- ١٤٧- ١٤٨- انظر: ابن عبد ربه، "العقد الفريد"، ٣٠١/٢.
- ١٤٩- ١٥١- انظر: ابن أبي الحديد، "شرح نهج البلاغة"، ١٦٢/٧.
- ١٥٢- ١٥٤- انظر: ابن أبي الحديد، "شرح نهج البلاغة"، ١١٣/٢- ١١٤.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- ١- ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد: "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- ٢- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: "البيان والتبيين"، بيروت، المكتبة العصرية، تحقيق: درويش جويدي.
- ٣- ابن أبي الحديد، أبو حامد عز الدين بن هبة الله: "شرح نهج البلاغة"، القاهرة، دار الكتب العربية، د.ت، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- ٤- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: "البرهان في علوم القرآن"، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط. الثالثة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- ٥- سيويوه، أبو عمرو عثمان بن قنبر: "الكتاب"، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، تحقيق: إميل بدیع يعقوب.
- ٦- ابن الشجري، أبو السعادات هبة الله: "مختارات ابن الشجري"، القاهرة، دار نهضة مصر، د.ت، تحقيق: علي محمد البجاوي.
- ٧- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: "الملل والنحل"، بيروت، دار المعرفة، ط. الثانية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، تحقيق: أمير علي مهنا، علي حسن فاعور.
- ٨- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: "تاريخ الأمم والملوك"، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣م، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

- ٩- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد: "العقد الفريد"، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين.
- ١٠- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله: "كتاب الصناعاتين: الكتابة والشعر"، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- ١١- العلوي، السيد جعفر البيتي: "مواسم الأدب وأثار العجم والعرب"، الطائف، مكتبة المعارف، د.ت.
- ١٢- العلوي، يحيى بن حمزة اليماني: "الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز"، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.
- ١٣- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: "عيون الأخبار"، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٤٣هـ.
- ١٤- القرطاجني، أبو الحسن حازم: "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، تونس، دار الكتب الشرقية، ١٩٦٦م، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة.
- ١٥- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: "تفسير القرآن العظيم"، حلب، مكتبة التراث الإسلامي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- ١٦- المقرئ، أحمد بن المقرئ التلمساني: "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م، تحقيق: إحسان عباس.
- ١٧- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم: "لسان العرب"، بيروت، دار صادر، ١٣٨٨هـ/١٩٦٦م.

١٨- النيسابوري، أبو الفضل أحمد بن محمد: "مجمع الأمثال"، بيروت، دار الفكر العربي، ط. الثالثة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٢م، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

١٩- ابن وهب، إسحاق بن إبراهيم: "البرهان في وجوه البيان"، بغداد، مطبعة الحرية، دن، ١٩٦٧م، تحقيق: أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي.

ثانيًا: المراجع:

٢٠- جوستاف لوبون: "روح الجماعات"، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٥م، ترجمة عادل زعير.

٢١- سيد قطب: "التصوير الفني في القرآن"، دار الشروق، ط. السادسة، القاهرة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٢٢- عرفة حلمي عباس: "الاقتباس القرآني والحديثي في مقامات الحريري"، القاهرة، مكتبة الآداب، ط. الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٢٣- عيسى با طاهر: "أساليب الإقناع في القرآن الكريم"، عمان-الأردن، دار الضياء للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٢٤- محمد الخضري: "النولة الأموية"، بيروت، دار المعرفة، ط. السادسة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٢٥- هاري ميلز: "فن الإقناع"، الرياض- جدة، مكتبة جرير، ط. السابعة، ٢٠٠٦م.